

روجيه جارودى
الأساطير المؤسسة للسياسة الإسرائيلية
الناشر
دار الغد العربى
٣ ش. دانش. العباسية
ت: ٢٨٥٦١٢٢ . ٢٩٧٢٨٧٠ . القاهرة

الأساطير المؤسسة للسياسة الإسرائيلية

رجاء جارودى

يوم أن اعتنق الإسلام كان زلزالا لفرنسا ، ويوم أن كتب هذه الكتاب كان زلزالا أشد وأقوى على كل صهاينة العالم .ما أن اعتنق روجيه جارودى، المفكر الفرنسى المعروف الإسلام وذاق حلاوته عن علم ومعرفة، حتى انبرى يكتب عن هذا الدين الحنيف ويدافع عنه وعن تعاليمه فى ديار الغرب، وكرس حياته ووقفها على جليل الأعمال التى تدعو إلى رفعة أمة الإسلام وإيقاظها من سباتها وتذكيرها بعظمة حضارتها وبما لها من أفضال على العلم والعلماء، ولقد جلب هذا عليه الكثير من المشاكل وأثار عليه حفيظة مثقفى الغرب وكسالى الشرق، غير أنه لم يحد عن طريق الحق رغم مزاعم المتهافتين والحاقدين الذين ادعوا زورا وبهتانا أنه قد ارتد عن الإسلام، وفي أعقاب صدور هذا الكتاب الذى بين أيدينا، تلقى جارودى دعوى قضائية لأنه قال فى كتابه: إن النصوص التوراتية أو اضطهاد هتلر لليهود لا يمكن أن يبررا سرقة أراضى فلسطينية واقتلاع سكانها وقمعهم بتلك الصورة الوحشية والدموية، كما أنها لا يمكن أن يبررا الخطة الإسرائيلية الرامية إلى تفكيك أواصر الدول العربية وتفريقها. ولقد حاول جارودى فى كتابه هذا أن يستكشف حقائق التاريخ الحديث فى ضوء شهادات عتاة الصهيونيين وأن يكشف النقاب عن زيف الأساطير التى تأسست عليها السياسة الإسرائيلية فقام بتفنيد ما استندت إليه الصهيونية العالمية لإنشاء دولة إسرائيل، بالحجج والوثائق التاريخية، وهو ما أثار عليه شواظ غضب اليهود الذين شنوا عليه حربا ضروسا باتهامه بمعاداة السامية وبنفيه للتاريخ

الرسمى الذى يؤكدعلى أن ضحايا الحرب العالمية الثانية من اليهود قد بلغوا ستة ملايين يهودى.

كلمة الناشر

لقد كان روجيه جارودى، المفكر الفرنسى المعروف، والذى اعتنق الإسلام منذ عشر سنوات وتسمى باسم رجاء جارودى، من كبار رجالات الحزب الشيوعى الفرنسى حيث كان عضوا بارزا فى لجنته المركزية. وناضل منذ شبابه فى صفوف هذا الحزب، وله فى هذا المضمار كتاباته ومؤلفاته العديدة. ولكنه ما إن اهتدى إلى الإسلام، وذاق حلاوته عن علم ومعرفة، حتى انبرى يكتب عن هذا الدين الحنيف ويدافع عنه وعن تعاليمه فى ديار الغرب، وله فى ذلك أيضا صولاته وجولاته التى مازالت تثير الجدل والنقاش. ومن عجائب المفارقات، بل ومن محاسن الصدف أن يقيض الله للعرب وللفلسطينيين خاصة من يدافع عن حقوقهم التاريخية ومن ينادى بالعدالة ورفع الظلم عنهم. فقد كرس رجاء جارودى حياته ووقفها على جليل الأعمال التى تدعو إلى رفعة أمة الإسلام وإيقاظها من سباتها وتذكيرها بعظمة حضارتها وبما لها من أفضال على العلم والعلماء . ولقد جلب هذا عليه الكثير من المشاكل وأثار عليه حفيظة مثقفى الغرب وكسالى الشرق، غير أنه لم يحد عن طريق الحق رغم مزاعم المتهافتين والحاقدين الذين ادعوا زورا وبهتانا أنه قد ارتد عن الإسلام، وتلك لعمرى دسيسة صهيونية لإظهاره بمظهر العدو للعرب والمسلمين وليس لليهود فقط. ومما يؤسف له أن العرب قد ابتلعوا هذا الطعم بسذاجة وكالوا له السباب والاتهامات، فى الوقت الذى شنت عليه الصهيونية وأتباعها فى الغرب حربا شعواء . إن موقف جارودى من اليهود والصهيونية وقيام دولة إسرائيل هو موقف معروف ولا يحتاج إلى دليل وهو الأمر الذى أقام قيامة اليهود عليه عام ١٩٨٢ عقب صدور بيانه الشهير (مجازر لبنان : معنى العدوان الإسرائيلى) ، والذى وقعه معه الأب ميشيل لولون والقس إيتان ماتيو. وقادت الحرب عليه جمعية (ليكرا) وهى جمعية صهيونية

دولية مقرها باريس وتدعى مناهضة العنصرية واللاسامية. ودأبت هذه الجمعية على محاربته بشتى الطرق المشروعة وغير المشروعة. ونجحت فى تقديمه إلى المحاكمة بتهمة النيل من الجنس اليهودى. وهى نفس التهمة التى يقف جارودى فى الوقت الحالى بسببها أمام المحاكم الفرنسية بمقتضى قانون جيسو الذى صدر عام ١٩٩٠، والذى يعتبر إعادة النظر فى تاريخ اليهود جريمة ضد الإنسانية. ففى أعقاب صدور هذا الكتاب الذى بين أيدينا، تلقى جارودى دعوى قضائية لأنه قال فى كتابه: إن النصوص التوراتية أو اضطهاد هتلر لليهود لا يمكن أن يبررا سرقة أراضى فلسطينية واقتلاع سكانها وقمعهم بتلك الصورة الوحشية والدموية، كما أنها لا يمكن أن يبررا الخطة الإسرائيلية الرامية إلى تفكيك أواصر الدول العربية وتفريقها. ولقد حاول جارودى فى كتابه هذا أن يستكشف حقائق التاريخ الحديث فى ضوء شهادات عتاة الصهيونيين وأن يكشف النقاب عن زيف الأساطير التى تأسست عليها السياسة الإسرائيلية فقام بتفنيد ما استندت إليه الصهيونية العالمية لإنشاء دولة إسرائيل، بالحجج والوثائق التاريخية، وهو ما أثار عليه شواظ غضب اليهود الذين شنوا عليه حربا ضروسا باتهامه بمعاداة السامية وبنفيه للتاريخ الرسمى الذى يؤكدعلى أن ضحايا الحرب العالمية الثانية من اليهود قد بلغوا ستة ملايين يهودى. وقد نجحت هذه الحملة فى تعبئة الرأى العام الفرنسى ضده، فى حين إنه لا يملك حتى حق الدفاع عن نفسه بعد أن رفضت جميع الصحف وأجهزة الإعلام نشر أو إذاعة حرف واحد من دفاعه عن نفسه. واكتفت بالهجوم على شخصه وعلى كل من ساندوه من أمثال الأب بيير، وهو من أكثر الشخصيات الدينية شعبية فى فرنسا، وعرف بمواقفه الشجاعة فى الدفاع عن الفقراء والمساكين والأجانب. فهو مؤسس جمعية (عمواس) الخيرية التى تسهر على تقديم العون للفقراء وعديمى المسكن وتخفيف وطأة الفقر عنهم وعن ذويهم. وقد تعرض هذا الأب

الجليل فى الأيام الأخيرة لحملة ضارية من الصحافة لوقوفه فى صف واحد مع صديقه جارودى، وأسقطت عنه جمعية (ليكرا) المذكورة عضويتها الفخرية، فاضطر وهو فى سن الرابعة والثمانين إلى الابتعاد عن باريس، والهجرة إلى الجبل لتفادى الملاحقات والامتهانات بعد أن نعتوه بالسفه والخرف. ويحتوى الكتاب على ثلاثة أجزاء ، فضلا عن مقدمة وخاتمة. فالجزء الأول يتناول (الأساطير اللاهوتية) ويعالج الجزء الثانى موضوع (أساطير القرن العشرين) أما الجزء الثالث فقد كرسه للحديث عن (الاستخدام السياسى للأسطورة) . وفى تمهيده لهذا الكتاب يتساءل جارودى: لماذا هذا الكتاب؟ ويرد على ذلك بأنه جزء من ثلاثية خصصها لمحاربة التطرف لدى جميع الأديان السماوية. واستطرد يقول : إن هذا الجزء ينصب على الأساطير التى قامت عليها السياسية الإسرائيلية، . وقد حاولت شجب ما فيها من هرطقة سياسية صهيونية ترمى إلى استبدال رب إسرائيل بدولة إسرائيل، وإن دولة إسرائيل ما هى إلا (رد الرب على الهولوكوست) . ثم قال : (إن هذا الكتاب يحافظ بأمانة على النقد السياسى والأيديولوجى دون إسراف أو تعسف. ونعتقد أنه مساهمة منا فى معركة التوصل إلى سلام حقيقى يقوم على احترام الحقيقة التاريخية والقانون الدولى، وتفعيل التاريخ النقدى للعالم المعاصر) . والواقع أن الذى أثار حفيظة اليهود وإلصهاينة فى الغرب هو كلامه عن معسكر أوشفيتز. وعن التشكيك فى رقم ٦ ملايين يهودى من ضحايا الحرب، وهو أمر يعتبر منطقة محظورة وقدس الأقداس. وقد نفى جارودى عن نفسه تهمة معاداة السامية أو اليهود، وأكد إنه يقف فقط مع الحق والحقيقة . وإن لمن دواعى سرور(دارالغدالعربى) أن تقدم هذا الكتاب القيم لقراء العربية. . ولشباب هذه الأمة بوجه خاص هذه الأمة التى لن تموت أبدا. . مهما حاولت الصهيونية العالمية، والاستعمار الأمريكى الجديد. . وإذا كانت هذه الحقيقة التى نعيشها تشهد ترديا لا مثيل له فى تاريخ هذه الأمة إلا أن

الغد المشرق لهذه الأمة سوف ينبلج صباحه عما قريب، وسوف تنهض الأمة من غفوتها حاملة وسالتها السامية وحضارتها العريقة لتعيد صياغة الحياة على أرض العرب من المحيط إلى الخليج بالحرية والحق والعدل والكرامة وإن غدا لناظره

حمدان جعفر

مدير عام دار الغد العربي

تنويه من المؤلف

(إنه بعد أكثر من نصف قرن صدرت خلاله كتبى عن أكبر دور نشر فرنسية، فإننى مضطر اليوم لأن أطبع هذا الكتاب على نفقتى الخاصة، لأننى منذ عام ١٩٨٢ قد خرقت أحد المحرمات عندما انتقدت السياسة الإسرائيلية، التى يدافع عنها الآن قانون (جيسو فايوش الغاشم) الذي صدر فى ١٣ يوليه ١٩٩٠، والذى يعيد فى فرنسا جريمة الرأى التى سادت عصر نابليون الثالث وجعلت قانونا قمعيا يعوض ضعف الحجج).

مقدمة المؤلف

هذا الكتاب هو تاريخ الهرطقة. وهو تاريخ يكمن فى جعل الدين أداة للسياسة بإضفاء القداسة عليها عن طريق قراءة حرفية وانتقائية للكلام المنزل. وهذا هو المرض القاتل فى نهاية هذا القرن الذي سبق لى أن عرفته فى كتابى عن التطرف الدينى. ولقد حاربت هذه النزعة لدى المسلمين فى كتابي (عظمة الإسلام وانحطاطه) مجازفا بأن أغضب كل من لا يحبون أن أقول (إن التطرف الدينى هو مرض الإسلام). وحاربت هذه النزعة كذلك لدى المسيحيين فى كتابى (نحو حرب بين الأديان)، مجازفا بأن أغضب كل من لا يحبون أن أقول (إن مسيح بولس ليس هو المسيح عيسى). وأنا أحارب هذه النزعة الآن لدي اليهود فى كتابى (الأساطير المؤسسة للسياسة الإسرائيلية) مجازفا بأن أثير ضدى عواصف الصهاينة الإسرائيليين الذين لم يعجبهم أن يذكرهم الحاخام هيرش بأن (الصهيونية قضت بأن يصبح الشعب اليهودي كيانا قوميا. . وتلك هى الهرطقة) .

(المصدر: جريدة الواشنجتن بوست الصادرة فى ٣ أكتوبر ١٩٧٨) .

فما هى الصهيونية التى أدينها وأفضحها علنا فى كتابى (وليست الديانة اليهودية)؟.
وهى غالبا ما عرفت نفسها بنفسها :
١ -إنها عقيدة سياسية (منذ ١٨٩٦، ارتبطت الصهيونية بالحركة السياسية التى أسسها تيودور هرتزل) .
(المصدر : موسوعة الصهيونية وإسرائيل. دارهرتزل، نيويورك ١٩٧١ ، المجلد اسى،الصفحة١٢٦٢).
٢- إنها عقيدة قومية لم تولد من اليهودية بل من القومية الأوروبية فى القرن التاسع عشر . ولم ينتسب مؤسس الصهيونية، هرتزل، إلى الدين (إننى لا أنقاد لأى دافع دينى).
(المصدر : تيودورهرتزل: اليوميات ، طبعة فيكتورجولانسز 1958،). (فأنا لا غنوصى(أى أنه من اللادرية))(ص٥٤.). فهو لا تهمه الأزض المقدسة بوجه خاص : فهو يقبل أيضا ومن أجل أهدافه القومية، بأوغندا أو طرابلس أو قبرص أو الأرجنتين، أو موزمبيق ، أو الكونغو. (المصدر: هرتزل، اليوميات، المرجع السابق). ولكن أمام معارضة أصدقائه من أصحاب الديانة اليهودية، فإنه يعى أهمية الأسطورة القوية، كما يقول (اليوميات ، المجلد الأول، ص ٣٥٦) التى (تؤلف صيحة للم الشعث ذات قوة لا تقهر) .
(المصدر : هرتزل، الدولة اليهودية، ص ٥..)
إن هذا شعار تعبوى لا تستطيع أى سياسة واقعية أن تتجاهله. وهو ماصرح به عندما حول أسطورة العودة القوية إلى حقيقة تاريخية : (إن فلسطين هى وطننا التاريخى الذى لا ينسى. . وإن هذا الاسم وحده سيظل صيحة لم الشمل القوية لشعبنا) .
(المصدر: هرتزل: الدولة اليهودية، ص ٩ . ٢).
(إن المسألة اليهودية ليست بالنسبة لى مسألة اجتماعية ولا مسألة دينية. . إنها مسألة قومية) .
٣-إنها عقيدة استعمارية. وهنا أيضا لا يخفى تيودور هرتزل الواعى أهدافه : فكخطوة أولى، تحقيق (شركة ذات امتيازات)

، تحت حماية إنجلترا أو أى قوة أخرى، في انتظار تحويلها إلى دولة يهودية. ولذا فإنه توجه نحو من اتضحت مهارته في هذا النوع من العمليات : المتاجر الاستعمارى سيسيل رودس، الذى استطاع انطلاقا من شركة ذات الامتيازات تحويلها إلى دولة جنوب إفريقيا، التى كانت إحدى عناصرها تسمى باسمه : روديسيا . فقد كتب إليه تيودور هرتزل في ١١ يناير ١٩.٢ ما يلى :

(أرجوك أن ترسل إلى نصا يقول إنك قد فحصت برنامجى وأنك توافق عليه . وقد تتساءل لماذا أكتب إليك يا سيد رودس . ذلك أن برنامجى هو برنامج استعمارى) .

(المصدر: هرتزل، اليوميات، الجزء الثالث، ص105)

عقيدة سياسية وقومية واستعمارية، تلك هى الخصائص الثلاث التى تشرح السياسة الصهيونية التى انتصرت في مؤتمر بازل فى أغسطس ١٨٩٧ ، والتى انتصر بها تيودور هرتزل مؤسسها العبقرى والميكيافيلى، واستطاع أن يقول وعن حق، في نهاية هذا المؤتمر: (لقدأسست الدولة اليهردية)(المصدر: اليوميات ص٢٢٤). وبالفعل وبعد مضى نصف قرن، كانت هذه هي السياسة التى سيطبقها بالضبط تلامذته بإنشاء دولة إسرائيل طبقا لأساليبه وتبعا لخطه السياسى (وذلك في أعقاب الحرب العالمية الثانية). ولكن هذه العملية السياسية والقومية والاستعمارية، لم تكن بأى حال من الأحوال امتداد للديانة والروحانية اليهودية. ففى نفس وقت انعقاد مؤتمر بازل الذى لم ينعقد في ميونخ (كما كان يتوقعه هرتزل) بسبب معارضة الجالية اليهودية الألمانية، انعقد مؤتمر مونتريال في أمريكا (١٨٩٧) حيث تم التصويت وباقتراح من الحاخام إسحاق مايرويز، الشخصية اليهودية التى كانت تمثل اليهود هناك في ذلك الوقت، على قرار تعارضت فيه تعارضا جذريا قراءتان للتوراة، وهما القراءة السياسية والقبلية للصهيونية والقراءة الروحانية والكونية للأنبياء. (إننا نشجب تماما أى مبادرة تهدف إلى إنشاء

دولة يهودية. وإن أى محاولات من هذا القبيل تكشف عن مفهوم خاطىء لرسالة إسرائيل. . التى كان الأنبياء اليهود هم أول من نادى بها. . ونؤكد أن هدف اليهودية ليس بهدف سياسى ولا قومى، ولكن روحى. . فهو يشير إلى عصر مسيحى حيث يعترف كل الناس بأنهم ينتمون إلى طائفة واحدة كبرى لانشاء مملكة الرب على الارض)! .
(المصدر : المؤتمر المركزى للحاخامات الأمريكيين، الكتاب السنوى السابع، ١٨٩٧ ، صفحة ١٢ .)
وهكذا كان رد الفعل الأول للمنظمات اليهودية ابتداء من (رابطة حاخامات ألمانيا) ، وحتى (الاتحاد الإسرائيلى العالمى لفرنسا) ، (والاتحاد الإسرائيلى) في النمسا، وكذلك الرابطات اليهودية في لندن. وهذه المعارضة حيال الصهيونية السياسية، المستوحاة من التمسك بروحانية الديانة اليهودية، ما فتأت تعبر عن نفسها حتى في أعقاب الحرب العالمية الثانية، عندما استغلت الصهيونية الإسرائيلية مرة أخرى، المخاصمات والمشاحنات التى دارت بين الدول في الأمم المتحدة، ولا سيما التأييد غير المشروط من الولايات المتحدة، لكى تفوض نفسها كقوة مهيمنة، وتمكنت بفضل مختلف أنواع اللوبى، من عكس الاتجاه وإنجاح سياسة القوة الاسرائيلية الصهيونية، على عكس ما كان متوقعا. ولكنها مع ذلك لم تفلح في تكميم نقد كبار الروحانيين. ولم يتوقف مارتن بوبر، أحد الأصوات اليهودية الكبرى في هذا القرن، طوال حياته، وحتى وفاته في إسرائيل، عنرشجب انحلال الصهيونية الدينية وارتكاسها إلى صهيونية سياسية. فقد أعلن مارتن بوبر في نبويورك: (إن الشعور الذى اعترانى منذ ستين عاما، عندما انضممت إلى الحركة الصهيونية، هو في جوهره نفس الشعور الذي يعتريني اليوم. . لقد كان أملى ألا تتبع هذه القومية طريق الآخرين - وأن تبدأ بآمال عريضة لكى لا تتردى بعد ذلك حتى تصبح نزعة أنانية مقدسة، تجاسرت - كموسولينى - أن تعلن نفسها أنانية مقدسة، كما لو

كانت الأنانية الجماعية تستطيع أن تكون أكثر قداسة من الأنانية الفردية. وعندما عدنا إلى فلسطين، كان السؤال الحاسم هو: أتود أن تحضر إلى هنا كصديق وكأخ، وكعضو في مجتمع شعوب الشرق الأوسط، أو كممثل للاستعمار والإمبريالية؟ . لقد كان التناقض بين الهدف ووسائل بلوغه سببا في انقسام الصهاينة : فالبعض أراد أن يحظى بامتيازات سياسية خاصة من القوى العظمى، والآخرون، ولا سيما الشباب، أرادوا فقط السماح لهم بالعمل في فلسطين مع جيرانهم، من أجل فلسطين ومن أجل المستقبل . .
ولكن كل شىء لم يكن يسير على ما يرام في علاقاتنا مع العرب، ومع ذلك فقد كانت هناك عموما الجيرة الحسنة بين قرية يهودية وأخرى عربية. وهذه المرحلة العضوية من الاستيطان في فلسطين دامت حتى عصر هتلر. وهتلر الذى دفع بجموع اليهود إلى الذهاب إلى فلسطين، لا بالنخب التى جاءت لمواصلة حياتها والإعداد للمستقبل. وهكذا فقد أعقب هذا التطور العضوى الانتقائى هجرة جماعية وما استلزمه ذلك من إيجاد قوة سياسية لسلامها وأمنها. . وقد فضلت غالبية اليهود أن يتعلموا من هتلر بدلا من أن يتعلموا منا . . ولقد برهن هتلر أن مسار التاريخ لا يساير مسار العقل، ولكن مسار القوة، وإنه عندما يكون أى شعب على قدر من القوة، فإنه يستطيع أن يقتل دون عقاب. .. وهذه هى الحالة التى كان علينا أن نحاربها.. .. وفي(إيهود) اقترحنا ألا يكتفى اليهود والعرب بالتعايش ولكن أن يتعاونوا. . وذلك بمقدوره إحداث تنمية اقتصادية في الشرق الأوسط، وبفضله يستطيع الشرق الأوسط أن يساهم بشكل كبير وجوهرى في مستقبل الانسانية) .
المصدر : النشرة اليهودية الصادرة في ٢ يونيه ١٩٥٨.
وفي بيانه الذى ألقاه أمام المؤتمر الصهيونى الثاني عشر المعقود في كارلسباد في ٥ سبتمبر ١٩٢١، قال : إننا نتكلم عن روح إسرائيل، كما إننا نؤمن بأننا لا نشبه الشعوب الأخرى.

ولكن إذا ما كانت روح إسرائيل ليست شيئا آخر سوى تخليق هويتنا القومية، وتبرير جميل لأنانيتنا الجماعية. . التى تحولت إلى صنم معبود، برفضنا قبول إله آخر سوى رب السموات، نكون كالشعوب الأخرى، ونشرب معهم من الكأس التى تسكرهم فالأمة ليست هى القيمة العليا. . فاليهود أكثر من أن يكونوا أمة : إنهم أعضاء في جماعة مؤمنة.

(لقد اقتلعت الديانة اليهودية من جذورها، وهذا هو جوهر المرض الذى كانت أعراضه هى ولادة القومية اليهودية في منتصف القرن التاسع عشر وهذا الشكل الجديد للرغبة في الأرض هى الخلفية التي آذنت بما استعارته اليهودية القومية الحديثة من القومية الحديثة في الغرب. . وما هو دور فكرة (اختيارإسرائيل في كل ذلك؟) فالاختيار لا يعنى شعورا بالسمو، ولكنه يشير إلى معنى المصير. وهذا الشعور لا يولد من مقارنة مع الآخرين، ولكن من رسالة ومن منطلق مسئولية إنجازمهمة لم يفتأ الأنبياء يذكرون بها: إنكم إذا ما تفاخرتم بأنكم مختارون بدلا من أن تعيشوا في طاعة الله، فإن هذا ضرب من الغدر والخيانة) . وختم حديثه بذكرتلك (الأزمة القومية) للصهيونية السياسية التى تعتبرتحريفا لروحانية الديانة اليهودية، قائلا: (كنا نأمل في أن ننقذ القومية اليهودية من خطأ تحويل شعب إلى صنم معبود. ولكننا قد أخفقنا) .

(المصدر: مارتن بوبر، إسرائيل والعالم. نيويورك، ١٩٤٨، الصفحة ٢٦٣).

وقد اعتبر الأستاذ جوداس ماجنيس، رئيس الجامعة العبرية فى القدس منذ ١٩٢٦ ، أن(برنامج بلتيمور) لعام ١٩٤٢، الذى قضى بإنشاء دولة يهودية في فلسطين (سيؤدى إلى حرب ضد العرب) . (المصدر: نورمان بتويش، من أجل صهيون. سيرة جوداس ماجنيس، فيلادلفيا، منشورات الجمعية اليهودية في أمريكا،١٩٥٤، الصفحة ٣٥٢. (وعند إلقائه لبيانه عند افتتاح هذه الجامعة العبرية في عام ١٩٤٦ والتى رأسها منذ ٢٠ سنة ، قال :

إن الصوت اليهودي الجديد يتكلم عبر فوهات البنادق. . . وهذه هى التوراة الجديدة لأرض إسرائيل. لقد تكبل العالم بقيود جنون القوة المادية. وليحفظنا الرب الآن من اقتياد اليهودية وشعب إسرائيل إلى هذا الجنون. إنها يهودية ملحدة تلك التى طعنت على جزء كبير من الشتات القوى. وكنا نعتقد زمن الصهيونية الرومانتيكية، أن صهيون ينبغى افتداؤه بالاستقامة والنزاهة. ويتحمل جميع يهود أمريكا مسئولية هذه الغلطة، وهذا التحول. . حتى من لم يوافقوا على تصرفات الادارة الملحدة، ولكنهم ظلوا قاعدين مكتوفى الأيدى. إن تخدير المعنى الأخلاقى يؤدى إلى الضمور والهزال).
(المصدر : المرجع السابق، ص ١٣١) .
والواقع أنه منذ إعلان بلتيمور، كان القادة الصهاينة في أمريكا قد حصلوا على أكبر حام لهم: الولإيات المتحدة. وقضت المنظمة الصهيونية العالمية على معارضة اليهود الأمناء على التقاليد الروحية لأنبياء إسرائيل، وطالبت بإنشاء ليس فحسب (وطن قومى يهودى فى فلسطين)، طبقا لنصوص (بل ولروح) إعلان بلفور، ولكن بإنشاء دولة يهودية في فلسطين.
وقد سبق لألبرت أينشتاين أن أدان في عام ١٩٣٨ هذا التوجه : (في رأيى فإنه من المعقول أكثر التوصل إلى اتفاق مع العرب على أساس حياة مشتركة ومسالمة، بدلا من إشاء دولة يهودية . وإن إحساسى الذاتى بالطبيعة الجوهرية لليهودية يصطدم بفكرة دولة يهودية لها حدودها، وجيشها ومشروعها للسلطة الدنيوية مهما كانت متواضعة. وأخشى من الخسائر الداخلية التى قد تتكبدها اليهودية بسبب قيام قومية ضيقة في صفوفنا . . وإننا لم نعد يهود عصر المكابى. ومجرد أن نصبح أمة بالمعنى السياسى للكلمة يساوى أننا سنحود عن روحانية طائفتنا التى ندين بها لأنبيائنا) .
(المصدر: الحاخام موشى مينوهن: انحلال اليهودية في زمننا، ١٩٦٩، صفحة٣٢٤).

ولم تنقصنا رسائل التذكير كلما انتهكت إسرائيل القانون الدولى. وسنكتفى هنا بذكر مثالين اثنين على ذلك، حيث قيل بصوت عال ما يراه ملايين اليهود ولكن دون أن يتمكنوا من الإفصاح عنه علانية خوفا من محاكم التفتيش الفكرية للوبى الإسرائيلى - الصهيونى : ففى عام ١٩٦. ، وأثناء محاكمة إيخمان في القدس، أعلن المجلس الأمريكى لليهودية:
(وجه المجلس الأمريكى لليهودية أمس الإثنين خطابا إلى السيد كريستين هرتر ينكر فيه حق الحكومة الإسرائيلية في التحدث باسم اليهود كافة. ويعلن المجلس أن اليهودية هى مسألة دين وليست مسألة جنسية) .
(المصدر: جريدة لموند، ٢١ يونيه ١٩٦.).
وفي ٨ يونيه ١٩٨٢ ، كتب الأستاذ بنيامين كوهين، من جامعة تل أبيب، وأثناء غزو الاسرائيليين الدامى للبنان، إلى الأستاذ بيرفيدال ناكيه (1): (أكتب إليك وأنا استمع إلى راديو الترانزيستور الذى أعلن(أننا) في سبيل تحقيق هدفنا في لبنان : وهو ضمان السلام لأهالى الجليل. وهذه الأكاذيب الجديرة بشخص كجوبلز، تجعلنى كالمجنون. ومن الواضح أن هذه الحرب الشرسة والضارية، وهى حرب أكثر بربرية من كل سابقاتها، لا علاقة لها بأى شىء ، لا بحادث الاغتيال الذى وقع في لندن، ولا بأمن الجليل. . ولا اليهود، أبناء إبراهيم. . هؤلاء اليهود الذين هم ضحايا أنفسهم من جراء هذا الكم الضخم من الضراوورة والوحشية، هل يمكن أن يصبحوا على هذا القدر من الفظاظة والقساوة؟ إن أكبرنجاح للصهيونية هو (عدول اليهود عن اليهودية،...

---

(١) وهو أستاذ فرنسى يهودى مشهور، يدرس التاريخ في جامعة السربون.

وأرجوكم أيها الأصدقاء أن تقوموا بكل ما فى وسعكم لكى لا يحرز أتباع بيجين وشارون هدفهم وهو التصفية النهائية (وهى العبارة السائدة في أيامنا هذه) للفلسطينيين كشعب والاسرائيليين كبشر) .
(المصدر : خطاب منشور في جريدة (لموند) بتاريخ ١٩ يونيه ١٩٨٢ ، ص -٩).
(الأستاذ ليبوفيتس يدمغ السياسة الاسرائيلية في لبنان ويصفها بأنها يهودية- نازية) .
(المصدر: ايعدوت احرونوت، ٢ يوليه ١٩٨٢ ، ص-٦) .
وهذا هو رهان المعركة بين الديانة اليهودية التوراتية وبين القومية الصهيونية، التى تقوم مثلها في ذلك مثل أى قومية، على رفض الآخر وتقديس الذات. فكل قومية في حاجة إلى تقديس ادعاءاتها : فبعد تفكك المسيحية، ادعت كل دولة-أمة أنها قد تلقت الإرث المقدس وأنها حازت على الولاية من الرب: ففرنسا هى(البنت البكر للكنيسة)، والتى بها تتم أفعال الرب. وألمانيا هى (فوق الجميع) لأن الله معها. وأعلنت إيفا بيرون (أن رسالة الأرجنتين هى تقديم الله إلى العالم)،وفى عام ١٩٧٢،تكهن بدوره رئيس وزراء جنوب إفريقيا، فورستر المشهور بعنصريته الوحشية المتمثلة في الفصل العنصرى، وأخذ يهذو بعبارات مثل(لا تنسوا أننا شعب الله، بعثنا برسالة) . . . ونشاطر القومية الصهيونية هذه النشوة مع كل القوميات. وحتى الأذكياء والمستنيرين غمرتهم هذه النشوة. فرجل مثل الأستاذ أندريه نهير، وفي كتابه الرائع : جوهر النبوءة (دار كلمان ليفى، ١٩٨٢ ، ص — ٣١١)، وبعد أن أثار بشكل جيد المعنى الكونى للتحالف : تحالف الرب مع الإنسان، أفضى به الحال إلى القول: إن إسرائيل هى وبامتياز(علامة التاريخ الإلهى في العالم. فإسرائيل هى محور العالم، وهى العصب والمركز والقلب) . 1 ص - ٣١١). ومثل هذه العبارات توحى وبشكل فاضح، (بالأسطورة الآرية) التى أسست أيديولوجيتها

الجرمانوية والهتلرية. وعلى هذا الطريق، فإننا نقف على نقيض تعاليم الأنبياء وعبارة أنا وأنت الرائعة لمارتن بوبر والاستبداد بالرأى يلغى الحوار ويحول دونه : فلايمكن التحاورمع هتلر ولامع بيجين، لأن سموهم الجنسى أو تحالفهم القصرى مع الإله، لايترك أى مجال للآخر. ولأننا نعى أنه في عصرنا هذا لا بديل عن الحوار أو الحرب، وأن الحوار يقتضى، وهو ما لا نمل من ترديده، أن يعى كل إنسان منذ البداية ما ينقصه من إيمان، وأنه في حاجة إلى الآخر لسد هذا الفراغ لديه، وهو شرط كل تفوق على الذات، وكل رغبة في الكمال (وهو روح كل إيمان حى). فإن مختاراتنا هذه عن الجريمة الصهيونية يسير في امتداد جهود هؤلاء اليهود الذين حاولوا الدفاع عن اليهودية التوراتية ومناصرتها ضد الصهيونية القبلية . وما يغذى معاداة الصهيونية ليس نقد سياسة العدوان والإفك والدم التى تمارسها الصهيونية الاسرائيلية بل التأييد غير المشروط لهذه السياسة التى أضحت لا تحتفظ من التقاليد العظيمة لليهودية سوى ما يبرر هذه السياسة عن طريق التفسير الحرفى، وما يضعها فوق كل قانون دولى بإضفاء القداسة عليها بواسطة أساطير الغد واليوم.

أولا الأساطير اللاهوتية

أسطورة الوعد أرض موعودة أم أرض مغتصبة؟

(لنسلك أعط هذه الأرض من نهر مصر إلى النهر الكبير نهر الفرات) سفرالتكوين: ١٥-١٨

القراءة المتطرفة للصهيونية السياسية : (إذا كنا نملك التوراة، وإذا كنا نعتبر أنفسنا شعب التوراة، فمن الواجب علينا أن نمتلك جمع الأراضى التوراتية).

(الجنرال موشى ديان، جيروزاليم بوست، ١. أغسطس ١٩٦٧ .)

- فى٢٥ فبراير ١٩٩٤،قتل الدكتور باروخ جولدشتين العرب وهم يصلون فى الحرم الإبراهيمى.

- وفى ٤ نوفمبر ١٩٩٥، اغتال إيجال عامير إسحاق رابين (بأمر من الرب) ومن جماعته المسلحة، التى تنادى بإعدام كل من يفرط فى الأرض الموعودة (ليهودا وسامرا) (الضفة الغربية حاليا) ويسلمها للعرب .

أ) فى التفسير المسيحى :

يوجز البيردى بورى، أستاذ العهد القديم فى كلية اللاهوت البروتستانتية فى جنيف، رسالته للدكتوراه (الوعد الإلهى والخرافة الشعائرية فى أدبيات يعقوب)، التى ناقش فيها كبار المؤرخين والمفسرين المحدثين وخاصة البرخت آلت ومارتن نوت، على النحو التالى: (إن الموضوع التوراتى لهبة البلاد يستمد أصوله من (الوعد الأول) أى الوعد الإلهى لإبراهيم بحسب المأثور فى سفر التكوين. فأقاويل سفر التكوين تنقل لنا فى مرات عديدة وبأشكال مختلفة : إن الله وعد الآباء وذرايتهم بملكية الأرض التى كانوا فى سبيلهم إلى التوطن فيها. وهذا الوعد يبدو أنه ينطبق قبل كل شىء على المناطق الواقعة حاليا فى الضفة الغربية . ويعرض القصاصون التوراتيون علينا تاريخ أصول إسرائيل كسلسلة من العصور

المحددة تحديدا دقيقا. فهم يدخلون كل الذكريات والتواريخ والخرافات والحكايات والأشعار التى وصلتهم والتى نقلها لنا التراث الشفهى، ضمن إطار محدد للأنساب والتأريخ. ويتفق معظم المفسرين المحدثين على أن هذه الصورة التاريخية ما هى إلا صورة وهمية إلى حد كبير. وقد برهنت أعمال البرخت آلت ومارتن نوت وعلى وجه الخصوص أن التقسيم إلى عصور متوالية (الآباء - السخرة فى مصر- غزو كنعان) هو تقسيم اصطناعى. وفى معرض إيجازها لأعمال التفسير المعاصرة وفقا لمقولة البيردى بورى، كتبت السيدة فرنسواز سميت، عميدة كلية اللاهوت البروتسانتية فى باريس تقول : (إن البحوث التاريخية الأخيرة توصلت إلى تقليص العروض الكلاسيكية للخروج من مصر، وغزوكنعان، والوحدة القومية الإسرائيلية قبل المنفى، وصورتها على أنها قصة خرافية، فعلم التاريخ التوراتى لا يخبرنا بما يقصه علينا بل يخبرنا عمن كتبوه) .

(المصدر: فرنسواز سميت : البروتستانت والتوراة وإسرائيل منذ عام ١٩٤٨- مجلة لالتر، نوفمبر١٩٨٤،رقم٣١٣، ص٢٣).

لقد قدمت السيدة فرانسواز سميت- فلورانتان توضيحا صارما لأسطورة الوعد فى كتابها : (الأساطير غير الشرعية، دراسة حول الأرض الموعودة) لابور وفيديس، جنيف، ١٩٩٤.

ويستطرد البيردى بورى قائلا: إن معظم المفسرين قد أخذوا الوعد المعطى للآباء بمعناه الكلاسيكى على أنه إضفاء للشرعية - بعد الأحداث - على الغزو الإسرائيلى لفلسطين، أوعلى أنه امتداد للسيادة الإسرائيلية فى عهد داود. بعبارة أخرى، فقد أدخل الوعد ضمن أحاديث الآباء بغية اتخاذ هذه الملحمة السلفية كتمهيد وكإعلان عن العصر الذهبى الداودى والسليمانى .

ونستطيع الآن أن نحصر بإيجاز أصول الوعد المعطى للآباء :

١ - الوعد بالأرض، بمعنى الوعد بالاستقرار، وقد وجه أولا إلى قبائل البدو الرحل التى كانت تطمح إلى الاستقرار فى مكان ما

بالمناطق الصالحة للسكنى. وبمقتضى هذا، فإن الوعد كان جزءا من الإرث الدينى والروائى لعدة قبائل بدوية متباينة .
٢- أما وعد الرحل فقد كان الغرض منه ليس الغزو السياسى أو العسكرى لمنطقة أو لبلد بأكمله، بل الاستقرار فى منطقة محدودة.
٣- وفى الأصل، فإن الوعد المعطى للآباء والذى تحدث عنه سفر التكوين، لم يقطعه يهوى (الرب الذى دخل فلسطين مع مجموعة الخروج) ، ولكن الرب الكنعانى ايل فى إحدى أقانيمه المحلية : والرب المحلى، مالك الأزض، هو وحده الذى يستطيع أن يمنح للرحل حق الاستقرار فى أراضيه .
٤ - وبعد ذلك، وعندما تجمعت القبائل الرحل التى استقرت مع قبائل أخرى لتشكيل (شعب إسرائيل) ، فإن الوعود القديمة كانت بمثابة أهداف قد تحققت، ومن ثم بدأ الوعد يتخذ أبعادا سياسية وعسكرية (وقومية) . وعلى ذلك فإن الوعد بعد إعادة تفسيره على هذا النحو، فهم على أنه التجسيد المسبق للغزو النهائى لفلسطين، وكإعلان وإضفاء للشرعية على مملكة داود.

مضمون وعد الآباء :

(بينما يرجع وعد.(الرحل) ، الذى يهدف إلى توطين عشيرة موحدة، إلى أصل يسبق الحوادث دون شك، فإن الأمر يختلف بالنسبة للوعد الموسع ذى الأبعاد (القومية) . ونظرا لأن القبائل الإسرائيلية لم تتوحد إلا بعد استيطانها فى فلسطين، فإن إعادة تفسير وعد الرحل ليصبح وعدا بالسيادة السياسية، قد تمت بعد الأحداث . وعلى ذلك، فإن وعد سفر التكوين ١٥-٤٢١/١٨ الذى يتوخى سيادة الشعب المختار على جميع المناطق الواقعة (بين نهر مصر (ت وادى العربش) والنهر الكبير نهر الفرات) وعلى جميع الشعوب التى تقطن هناك، هو بجلاء نبوءة ما قبل الأحداث مستوحاة من غزوات داود. وقد أتاحت البحوث التفسيرية التأكيد على أن توسيع وعد الرحل وجعله وعدا (قوميا) قد حدث قبل تحرير أقاويل الأوائل خطيا.

ولقد عاش القصاص يهويا، الذى يعتبر أول قصاص كبير (أو بالأحرى : محرر الأحاديث) للعهد القديم، فى عصر سليمان. ومن ثم فقد كان معاصرا وشاهدا على هذه العقود التى تحقق فيها وعد الآباء ، الذى أعيد تفسيره فى ضوء داود، بمايفوق كل الآمال. ونص سفر التكوين ١٢-٣ب، هو نص من تلك النصوص الأساسية لفهم أعمال يهويا. ووفقا لهذا النص، فإن بركة إسرائيل قد رافقتها بركة جميع (قبائل الأرض) . وقبائل الأرض هم أولا كل الشعوب التى كانت تتقاسم مع إسرائيل فلسطين والضفة الغربية. وهكذا فإننا لسنا فى حل من التأكيد على أنه فى فترة ما من فترات التاريخ، ظهر الرب أمام شخصية تاريخية تسمى إبراهيم وإنه قد منحه الصكوك الشرعية لامتلاك أرض كنعان. ومن الناحية القانونية، فإننا لا نملك أى صك للهبة موقعة من (الله) ، بل ولدينا من الأسباب القوية ما يجعلنا نفكر فى أن المنظر الوارد فى سفر التكوين١٢-١/٨؛١٣- ١٤/١٨، على سبيل المثال، لا يعكس حادثة تاريخية .

فهل من الممكن، والحال هذه، تفعيل وعد الآباء؟ فإذا كان معنى تفعيل الوعد هو استخدامه كصك من صكوك الملكية أو لوضعه فى خدمة المطالبات السياسية، فهو قطعا ليس كذلك.

فليس هناك أى سياسة لها حق آدعاء كفالة الوعد وضمانه. ولا نتفق بأى شكل من الأشكال مع أى من المسيحيين الذين يعتبرون وعود العهد القديم بمثابة إفضاء للشرعية على المطالبة بالأراضى الحالية لدولة إسرائيل).

(المصدر: اقتطفت كل هذه النصوص من المحاضرة التى ألقيت فى 10 فبراير ١٩٧٥ فى كريت - بيرارد (سويسرا) والتى نشرت فى مجلة الدراسات اللاهوتية والدينية، العدد ١٩٧٦,٣ (مونبلييه)).

ب) فى التفسير اليهودى للنبوءات : (محاضرة الحاخام ألمر برجر، الرئيس السابق لرابطة (من أجل اليهودية) فى الولايات المتحدة). إنه من غير المقبول من أى إنسان الادعاء بأن إنشاء

دولة إسرائيل حاليا هو تحقيق لنبوءة توراتية، ومن ثم فإن كل الأفعال التى قام بها الإسرائيليون لقيام دولتهم والإبقاء عليها هو تنفيذ لإرادة الرب. إن السياسة الحالية لإسرائيل قد حطمت أوعلى الأقل قد طمست المعنى الروحانى لإسرائيل. وأقترح أن نبحث عنصرين أساسيين لإرث النبوءات .

أ- أولا، فإنه عندما تحدث الأنبياء عن استعادة صهيون، فهذا لا يعنى الأزض التى كان لها فى حد ذاتها صفة القداسة. فالمحك المطلق الذى لا يقبل النقاش بشأن مفهوم نبوءة الخلاص، هو استعادة العلاقة بالرب، فى وقت كانت فيه هذه العلاقة قد قطعت من جانب الملك وشعبه. وقد قال ميشا ذلك بكل وضوح، (استمعوا إذن يا رؤساء بيت يعقوب، وقادة بيت إسرائيل، يامن تكرهون الخير وتحبون الشر، . . . يا من تبنون صهيون وسط حمامات من الدم والقدس بجرائمكم.. .. إن صهيون سيحرث كالحقل، وستصبح القدس (أورشاليم) كومة من الأطلال، وسيصبح جبل المعبد مكانا لعبادة الأصنام) .

(المصدر: ميشا الثالث، ١٢,١٠.)

لن يكون صهيون مقدسا، إلا إذا سادت شريعة الله. وهذا لا يعنى أن كل الشريعة التى استنت للقدس هى شريعة مقدسة.

ب- وليست الأرض وحدها هى التى تتوقف عليها مراعاة العلاقة مع الرب والإخلاص لها : فإن الشعب الذى أعيد توطينه فى صهيون يخضع لنفس مقتضيات العدالة والاستقامة والإخلاص التى للعلاقة مع الرب . ولا يمكن لصهيون أن ينتظر إعادة شعب يعتمد على المعاهدات والتحالفات وعلاقات القوة العسكرية، أو على هيراركية حربية تحاول أن تفرض تفوقها على جيران اسرائيل. . . . وتوضح تقاليد النبوءات بجلاء أن قداسة الأرض لا تتوقف على تربتها، ولا على شعبها، ولا على الوجود الوحيد لهذا الشعب على هذه الأرض.

والأمر الوحيد المقدس والجدير بصهيون، هو التحالف الإلهى الذى تعبر عنه مواقف شعبه. ومع ذلك فإن دولة إسرائيل

الحالية ليس لها أى حق فى ادعاء تحقيق النية الإلهية من أجل عصر مسيحى. . . فهذه هى محض غوغائية التربة والدم . فلا الشعب بمقدس ولا الأرض بمقدسة وهما ليسا جديرين بأى امتيازات روحية فى العالم. إن النزعة الشمولية الصهيوئية التى تسعى إلى إخضاع كل الشعب اليهودى، حتى ولو بالعتف وإلقوة، تجعل من هذا الشعب شعبا من بين الشعوب الأخرى وشبيه بها) .

(المصدر: الحاخام ألمر برجر: (النبوءة والصهيونية ودولة إسرائيل: ، محاضرة ألقيت فى جامعة ليدن (هولندا) فى ٢. مارس ١٩٦٨) .

ولم يكن إيجال عامير، قاتل إسحاق رابين، بعربيد أو بمجنون، ولكنه النتاج الخالص للتربية الصهيونية . فهو ابن حاخام، وطالب ممتاز فى الجامعة الإكليركية بأرعيلان بالقرب من تل أبيب، وتشبع بتعاليم المدارس التلمودية، وجندى من جنود الصفوة فى الجولان، ويحتفظ فى مكتبته بسيرة باروخ جولدشتين (الذى اغتال منذ عدة شهور فى الخليل،٢٧ من العرب وهم يصلون) . وهو لاشك قد شاهد فى التليفزيون الرسمى الإسرائيلى، العرض الكبير الخاص بجماعة (إيال) (محاربو إسرائيل) وهم يحلفون على قبر مؤسس الصهيونية السياسية، تيودور هرتزل بأن (يعدموا أى شخص يفرط للعرب فى أرض الميعاد) فى يهودا وسامرا (الضفة الغربية حاليا). ويندرج اغتيال الرئيس رابين (والاغتيالات التى اقترفها جولدشتين) ضمن المنطق الضيق لميثولوجية المتطرفين الصهيونيين، وكما يقولا عامير: (إن الأمر بالقتل جاءه من الرب) ، كما كان يحدث فى عهد يشوع.

(المصدر: لموند، ٨ نوفمبر ١٩٩٥) .

وهو لم يكن على هامش المجتمع الإسرائيلى : فإن المستوطنين فى قرية إربا وحبرون (الجليل) كانوا يرقصون

فرحا يوم اغتيال رابين وهم يرددون مزامير داود حول الضريح المقام على شرف باروخ جولدشتين.
(المصدر: جريدة ألبيس (أسبانيا) الصادرة فى ٧ نوفمبر ١٩٩٥ ، ص-٤) .
لقد كان إسحاق رابين هدفا رمزيا، وليس كما ادعى بيل كلنتون عند تشييع جنازته، من أنه (قد حارب طوال حياته من أجل السلام) (وهو الذى قاد جيوش الاحتلال فى بداية الانتفاضة وأعطى الأوامر بكسر عظام أيدى أطفال الأراضى الفلسطينينة الذين لم يكن يملكون شيئا آخر سوى الأحجار للدفاع عن أرض أجدادهم) . ولكن إسحاق رابين، وبكثير من الواقعية، قد فهم (كما حدث للأمريكيين فى فيتنام والفرنسيين فى الجزائر) أن أى حل عسكرى نهائى غير ممكن إذا ما اصطدم الجيش، ليس بجيش آخر، ولكن بشعب بأكمله. ومن ثم فإنه سار مع ياسر عرفات على طريق الحل الوسط: استقلال ذاتى إدارى لجزء من الأراضى التى شجبت قرارات الأمم المتحدة احتلالها، مع الإبقاء على الحماية العسكرية الإسرائيلية على (المستوطنات) المسروقة من الأهالى الأصليين والتى أصبحت كالخليل معاقل للتعصب والحقد. ولقد كان هذا كثيراً بالنسبة لهؤلاء المتطرفين الذين كانوا يهتفون ضد رابين ودمغوه (بالخائن). لقد كان رابين ضحية أسطورة (أرض الميعاد) كما حدث لآلاف من الفلسطينيين، وهى ذريعة ألفية للاستعمار الدموى. ويدل هذا الاغتيال المتعصب مرة أخرى على أن السلام الحقيقى بين دولة إسرائيل تعيش فى سلام داخل الحدود التى رسمها التقسيم فى عام ١٩٤٧، وبين دولة فلسطينية مستقلة استقلالا تاما، يستلزم تصفية المستوطنات التى تشكل داخل الدولة الفلسطينية المقبلة، مصدرا للإثارة وقنابل موقوتة لحروب جديدة.

أسطورة الشعب المختار

(كذاقال الرب: إسرائيل ابنى البكر) سفرالخروج:٤-٢٢

القراءة المتطرفة للصهيونية السياسية :

. (يمكن توزيع سكان العالم بين إسرائيل وبين الشعوب الأخرى برمتها. فإن إسرائيل هو الشعب المختار: وهو ركن أساسى من أركان العقيدة).

(المصدر: الحاخام كوهين فى كتابه (التلمود)، باريس، ١٩٨٦ ، ص- ١٤.).

هذه الأسطورة هى الإيمان دون أى أساس تاريخى، بأن الوحدانية قد ولدت مع العهد القديم. وعلى العكس يتضح من التوراة نفسها أن الاثنين اللذين قاما بكتابتها وهما: يهوى وإيلوهى، لم يكن أى منهما وحدانى : فقد كانا يناديان فقط بتفوق الإله العبرانى على سائر الآلهة، وغيرته عليهم (سفر الخروج ٢،٢.- ٥). ورب مواب: قاموش، معترف به (سفرالقضاة ٢٤،١١ وسفر الملوك الثانى، ٢٧) مثل (الآلهة الأخرى) (سفرصموئيل لأول، ١٩،٢٧) . وقد أضافت ترجمة مجمع الكنائس حاشية جاء فيها : (منذ زمن بعيد، كان الاعتقاد سائدا فى إسرائيل بوجود آلهة أجانب وقوتهم) . (ص ٦٨.، حاشية د) . ولم يحدث إلا بعد المنفى، ولا سيما لدى الأنبياء إن ثبتت الوحدانية، أى الانتقال من صيغ مثل صيغ سفر الخروج : (لا يكن لك آلهة أخرى تجاهى) (الخروج، ٢.، ٣) إلى صيغ لاتكتفى بفرض الطاعة ليهوى وليس للآلهة الآخرين وهوما تكررفى سفرتثنية الاشتراع: (لاتتبع آلهة أخر) (السادس، ١٤)، وتنادى: (أنا الرب، لا إله غيرى)(اشعيا، ٤٥، ٢٢). وهذا التأكيد الذى لايقبل الجدل بشأن الوحدانية يرجع تاريخه إلى النصف الثانى من القرن السادس ق. م(بين٥٥.و٥٣٩). فالوحدانية فى واقع الأمر هى ثمرة عملية نضج طويلة للحضارات الكبرى فى الشرق الأوسط، حضارة مابين النهرين وحضارة مصر. واعتبارا من

القرن الثالث عشر قبل الميلاد، أمر الفرعون أخناتون بإزالة كلمة (رب) من جميع المعابد. وقد نقلت أنشودته للشمس حرفيا تقريبا فى المزمار ٤ ١.. وكانت الديانة البابلية فى طريقها إلى الوحدانية؛ وفى حديثه عن الرب مردوك، عدد المؤرخ أولبريت خطوات هذا التحول : (عندما تم الاعتراف بأن الآلهة المختلفة ما هى إلا تجليات لإله وإحد. . لم يبق سوى خطوة واحدة لبلوغ نوع من الوحدانية) .

(المصدر: أولبريت، الأديان فى الشرق الأوسط، ص١٥٠٩).

و (الأنشودة البابلية للخلق) (التى يرجع تاريخها إلى القرن الحادى عشر قبل الميلاد) تشهد على هذه (الخطوات الأخيرة) : (إذا كان البشر قد انقسموا حول الآلهة، فبالنسبة لنا، و بكل الأسماء التى سميناهم بها، فإنه هو ربنا). وقد بلغ هذا الدين تلك الدرجة من السريرة حيث تظهر صورة العادل المتألم: (أود أن أمدح رب الحكمة.. فإن الإلم قد تخلى عنى... وكنت أظن إننى فى خدمة الرب، ولكن المقادير الإلهية، فى قاع اليم، فمن يفهمها؟. فمن هو إذن، إن لم يكن مردوك، هو رب البعث).

(المصدر: المرجع السابق، ص٣٢٩-٣٤١).

أما صورة أيوب، فهى سابقة عليها بعدة قرون. وثمة صورة مماثلة للعادل المتألم، وهى صورة دانيل (وهى غيرماجاء فى التوراة العبرية) الذى عاقبه الرب وأعاده إلى الأرض، موجودة فى النصوص الأوغاريتية فى رأس شمراء ، التى سميت (التوراة الكنعانية) وهى سابقة على توراة العبرانيين لأن حزقيال يستشهد بدانيل بجانب أيوب (حزقيال ١٤ ، ١٤و٢.) وتلك مقولات لا يتفوق معناها الروحى أبدا على الفحص التاريخى. وتلك على سبيل المثال الحال مع المقولة الرائعة بشأن مقاومة الاضطهاد والتحرر التى وردت فى سفر الخروج.ولايهم فى شىء إلا يعتبر (عبور بحر البوص بمثابة حدث

تاريخى) ، كما يقول مرشيا إيلياد(١)، وهو لا يخص كافة العبرانيين، بل بعض المجموعات من الهاربين.

---

(١) مرشياايلياد، (تاريخ العقائد والأفكارالدينية) ، الجزء الأول ص ١٩. .

ولكن من المهم أن يرتبط الخروج من مصر، وفى هذه الصيغة الفخمة، بالاحتفال بعيد الفصح . . بعد تفعيله وإدماجه فى التاريخ المقدس ليهوى (2) . وابتداء من عام٦٢١ قبل الميلاد، كان الاحتفال بالخروج يكتسى طابع الشعائر الزراعية الكنعانية لعيد الفصح فى الربيع : عيد بعث أدونيس. ومن ثم أصبح إلخروج هو الصك المؤسس لنهضة شعب انتشله ربه من العبودية . وتوجد التجربة الإلهية لانتشال الإنسان من عبوديته القديمة لدى مختلف الشعوب: فالتيهان الطويل فى القرن الثالث عشر لقبيلة الازتيك (مكسيكا) التى لم تصل بعدما يزيد على القرن من المحن إلى الوادى إلا تحت إمرة ربها الذى فتح أمامها الطريق. وهو ما حدث كذلك بالنسبة للأسفار المسارية نحو الحرية للقادرية الإفريقية . وقدارتبط استقرارالقبائل الرحل أوالمتجولة وخاصة فى الشرق. الأوسط، بهبة الأرض الموعودة بواسطة إله من الآلهة. وثمة أساطير حفت بمسيرة الإنسان طوال حياته، مثل الطوفان، الذى عاقب به الرب أخطاء الإنسان وأعاد بدء خلقه، فهو موجود فى كل الحضارات منذ جلجاميش وحتى بوبول فوه من قبائل المايا. وقد ولدت أناشيد مدح الرب فى جميع الأديان، مثل المزامير

---

(٢)المرجع السابق؛.ص-١٩١ .

المؤلفة على شرف باشاماما، آلهة أو إله قبائل ألانكا. فإذا لم يقف التعصب الاثنى حائلا، فلماذا لانطرح حول هذه النصوص

المقدسة، التى تعتبر بالنسبة لكل شعب من الشعوب بمثابة (العهد القديم) ، نقاشا لاهوتيا بشأن فترات اكتشاف معنى الحياة ؟ وحينئذ فقط، فإن رسالة الحياة وأقوال المسيح، ستبلغ كونيتها الحقيقية : فهى ستتأصل فى جميع التجارب الإلهية المعاشة، ولن تتقلص أو حتى تختنق بتقاليد آحادية . إن الحياة الخاصة بالمسيح ورؤيته الجديدة تماما لمملكة الرب، لن تطمس لصالح مخطط تاريخى يبدأ فقط من وعود النصر المضروبة لشعب ما وحتى تحقيق هذه الوعود. إننا لم نتحدث هنا إلا عن أديان الشرق الأوسط التى نشأت فى أحضانها الوحدانية، وتشكل داخلها العبرانيون . وفى حضارات أخرى، غير غربية، فإن المسيرة إلى الوحدانية تعتبر أقدم بكثير. وعلى سبيل المثال فى الهند فى نصوص الفيدا . (إن الحكماء يسمون الخالق الوحيد بأكثر من اسم) (أنشودة ريج - فيدا الثالثة، ٧).
وفريها سباتى: (إنه أبانا الذى يحتوى كل الآلهة)(الثالث،١٨).
(تعددت أسماؤه ولكنه وإحد) . فهذه النصوص المقدسة يتراوح تاريخها بين القرن السادس عشر والسادس قبل ميلاد المسيح، وكان الأب مونشانان يسميها (أشعار الطقوس المطلقة)
(المصدر: جول مونشانان: الحياة الروحية فى الهند، وخفايا الدين المسيحى. الصفحات٢٣١- ٢٣٩.)

أسطورة يشوع

التطهير العرقى

(واجتاز يشوع وكل إسرائيل معه من لاكيش إلى عجلون، ونزلوا عليها وحاربوها وافتتحوها فى ذلك اليوم وضربوها بحد السيف وأبسل كل نفس فيها فى ذلك اليوم عينه كما فعل بلاكيش.. وصعد يشوع وجميع إسرائيل معه من عجلون إلى حبرون.) سفر يشوع: ٣٤.١. القراءة المتطرفة للصهيونية السياسية :

فى ٩ أبريل ١٩٤٨، أباد مناحم بيجين ومعه وحدات أرجون العسكرية، سكان قرية ديرياسين البالغ عددهم ٢٥٤ نسمة من الرجال والنساء والأطفال . لن نناقش الفصل الخاص بالحفريات الأسطورية في التاريخ وادعاءات عملية الترقيع التاريخية هذه، لتبرير سياسة ما ، إلا في حالة خاصة هى الاستخدام الذرائعى للروايات التوراتية، ، لأنها ما انفكت تلعب دورا حاسما في مصير الغرب بتغطية العمليات الدموية منذ اضطهاد اليهود من قبل الرومان، ثم المسيحيين، وحتى"الحروب الصليبية، ومحاكم التفتيش، والتحالفات المقدسة، والهيمنة الاستعمارية التى مارستها (الشعوب المختارة) ، وحتى عمليات الابتزاز التى مارستها دولة إسرائيل، ليس فحسب بسياستها التوسعية في الشرق الأوسط ولكن بضغوط لوبياتها، وخاصة بأقوى لوبى لها وهى الولايات المتحدة، التى تلعب دورا هاما في سياسة أمريكا للسيطرة العالمية والعدوان العسكرى. هذا هو السبب في اختيارنا لهذا الماضى الأسطورى الذي يوجه المستقبل نحو ما يمكن أن يكون انتحارا كونيا. وتتضمن التوراة، وبما يفوق المذابح التى أمر بها (رب الجيوش) ، النبوءات الكبرى لعاموسى وحزقيال وأشعيا وأيوب، وحتى البشارة (بتحالف جديد) مع دانيال. وهذا التحالف الجديد (العهد الجديد) ينبىء في آن واحد ببدء أكبر تحول في تاريخ الإنسان

والأنبياء ، بصعود المسيح، وأراد به الله، كما يقول آباء الكنيسة الشرقية : (أن يصبح إنسانا لكى يتمكن الإنسان من أن يصبح إلها). ثم كانت العودة مع القديس بولس، بالرؤية التقليدية للرب الأعلى والأقوى، الذى يوجه حياة الناس والطوائف من الخارج ومن أعلى، وليس (بالقانون) اليهودى ، ولكن (بعطية) مسيحية ظاهرها تحطيم مسئولية الانسان. (فإنكم بالنعمة مخلصون بواسطة الايمان وذلك ليس منكم إنما هو عطية الله) (رسالة القديس بولس إلى أهل أفسس، الفصل الثاني،٨). إننا لا نعالج التوراة بصفة عامة، وإنما فقط الجزء الذى يدعى النظام الثيوقراطى الإسرائيلى والحركة الصهيونية استلهامه: أى الأسفار الخمسة الأولى: التكوين، والخروج ، والأحبار، والعدد ، وتثنية الاشتراع ، والملاحق المسماة الملاحق التاريخية وهى سفر يشوع، والقضاة، وصموئيل. فالتوراة اليهودية لا تشكل جزءا من النقد النبوئى الفخيم الذي يذكر دائما بأن (علاقة الله بالإنسان) مشروطة وعالمية وأنها مرتبطة بطاعة القانون الربانى وأنها مفتوحة أمام جميع الشعوب وكل الناس.

وأسفار التوراة والكتب التاريخية هى بمثابة تجميع خطى للتقاليد الشفهية التى جاء بها مؤرخو القرن التاسع، ونساخ سليمان الذي كان همهم الأكبر هو إضفاء الشرعية على غزوات داود ومملكته وتفخيمها، والتى مع ذلك لا سبيل هناك للتحقق منها بالمقارنة أو المقابلة التاريخية، أوبالأطلال الأثرية ، ولا بوثائق أخرى سوى الكتابات التوراتية. . ويتعلق الحدث الأول الذى أكدته التواريخ الخارجية بسليمان، حيث توجد آثاره في المحفوظات الآشورية. وإلى هنا، لا توجد أية مصادر خارجية أخرى غير الكتابات الموجودة في التوراة للتحقيق من تأريخيتها. وعلى سبيل المثال، فإن الآثار الأركيولوجية في حور بالعراق، لا تمدنا بأية معلومات إضافية عن إبراهيم، تماما مثلما أن حفائر أطلال طروادة لا تفيدنا بالجديد عن هكتور وبريام. وفي سفر (العدد) (الفصل لحادى والثلاإثون، ٧-١٨).

يقال لنا إن مآثر (بنى إسرائيل)، الذين هزموا المدينين، (فقاتلوا مدين كما أمر الرب موسى وقتلوا كل ذكر) (وسبى بنو إسرائيل نساء مدين) وجميع مدنهم مع مساكنهم وقصورهم أحرقوهابالنار) . وعندما عادوا إلى موسى، (فسخط موسى على وكلاء الجيش وقال لهم موسى هل استبقيتم الإناث كلهن، فالآن اقتلوا كل ذكر من الأطفال وكل امرأة عرفت مضاجعة رجل اقتلوها، وأما إناث الأطفال اللواتى لم يعرفن مضاجعة الرجال فاستبقوهن لكم).(١٤-١٨).

. وتابع يشوع، خليفة موسى ، وفى أثناء غزوه لكنعان، وبطريقة منهجية، سياسة (التطهير العرقى) التى أمر بها رب الجيوش. (وفتح يشوع في ذلك اليوم مقيدة وضربها بحد السيف وأبسل ملكها وكل الأنفس التى فيها لم يبق باقيا فصنع بملك مقيدة كما صنع بملك أريحا. ثم اجتاز يشوع وجميع إسرائيل معه من مقيدة إلى لبنة وحاربها. فأسلمها الرب أيضا إلى أيدي إسرائيل وهى وملكها فضربوها بحد السيف وقتلوا كل نفس فيها فلم يبقوا فيها باقيا وفعلوا بملكها كما فعلوا بملك أريحا. وجاز يشوع وجميع إسرائيل معه. من لبنة إلى لاكيش ونزل عليها وحاربها. فأسلم الرب لاكيش إلى أيدى إسرائيل فافتتحوها في اليوم الثانى وضربوها بحد السيف وقتلوا كل نفس فيها كما فعلوا بلبنة . حينئذ صعد هورام ملك جازر لنصرة لاليش فضربه يشوع هو وقومه حتى لم يبق منهم باقيا. واجتاز يشوع وكل إسرائيل معه من لاكيش إلى عجلون ونزلوا عليها وحاربوها وافتتحوها في ذلك اليوم فضربوها بحد السيف وأبسل كل نفس فيها فى ذلك اليوم عينه كما فعل بلاكيش : وصعد يشوع وجميع إسرائيل معه من عجلون إلى صبرون وحاربوها، .

(المصدر: سفريشوع، الفصل العاشر، ٣٤- ٣٨).

وتستمر هذه الملحمة المملة في سرد وتعداد (عمليات الابادة المقدسة) التى وقعت في الضفة الغربية. وينبغى لنا، أمام هذه

الأحاديث ، طرح سؤالين اثنين أساسيين هما :
١ -الأول بشأن صحتها التاريخية.
٢ - والثانى بشأن عواقب التقليد الحرفى للإشادة. بسياسة الإبادة.

أ) وعن النقطة الأولى

فإننا نصطدم هنا بعلم الآثار. ويبدو أن الحفائر قد برهنت على أن الإسرائيليين الذين وصلوا في نهاية القرن الثالث عشر قبل الميلاد، لم يستطيعوا الاستيلاء على أريحا لأنها كانت عير مأهولة في ذلك الوقت. فمدينة عصر البرونز الوسيط كانت قد دمرت نحو ١٥٥. ثم هجرت بعد ذلك. وفي القرن الرابع عشر، سكنت بصورة ضعيفة، فقد وجدت آنية من الفخار ترجع إلى ذلك العصر داخل مقابرالعصر البرونزى الوسيط التى استخدمت مرة أخرى، ومنزل به إبريق صغير يرجع إلى منتصف القرن الرابع عشر. ولا شىء هناك ينتسب إلى القزن الثالث عشر. ولا توجد أية آثار لحصون العصر البرونزى الحديث. وكانت النتيجة التى توصلت إليها الآنسة ك. م. كينون أنه من المستحيل ربط تدمير أريحا بدخول الإسرائيلين في نهاية القرن الثالث عشرقبل الميلاد.

(المصدر: ك.م: كينون: الحفر في أريحا، لندن، ١٩٥٧ ، الصفحات ٢٥٦- ٢٦٥).

وهكذا الحال بالنسبة للاستيلاء على مدينة عاى. فقد، قامت بعثتان بالحفر والتنقيب في الموقع، وجاءت النتائج متطابقة، وهو أنه لم تكن توجد مدينة وقت قدوم الإسرائيليين، ولم يكن هناك ملك لآى، لقد كانت هناك أطلال تعود إلى١٢..سنة.

(المصدر: الأب دى فو: التاريخ القديم لإسرائيل، باريس ١٩٧١ ، المجلد ١ ص ٥٦٥).

ب) وعن النقطة الثانية.

لماذا لا يحذو، والحال هذه، أى يهودى متدين ومتطرف (أى متمسك بالقراءة الحرفية للتوراة) حذو هذه الشخصيات الجليلة

المتمثلة في موسى ويشوع؟
وألم يذكر سفر العدد، وعندما بدأ غزو فلسطين (كنعان) : (فسمع الرب صوت إسرائيل ودفع إليهم الكنعانيين فأبسلوهم هم ومدنهم) (العدد، الحادى والعشروذ، ٣)، ثم وبخصوص الأموريين وملكهم: (فضربه إسرائيل بحد السيف هو وقومه حتى لم يبق منهم أحدا، واستولواعلى بلاده.)(العدد، الحادى والعشرون، ٣٥) . ويكرر سفر تثنية الاشتراع : (وإذا أدخلك الرب، إلهك الأرض التى أنت صائر إليها لترثها واستأصل أمما كثيرة. . فأبسلهم إبسالا (الفصل السابع، ١-٢).) فلا يقف أحد بين يديك حتى تفنيهم) (الفصل السابع٢٤).
ومن شارون إلى الحاخام مائير كاهانا، فذاك تجسيد للطريقة التى سيتبعها الصهاينة حيال الفلسطينيين. ألم تكن مسيرة يشوع هى مسيرة مناحم بيجين عندما قضى في ٩ بريل١٩٤٨ على سكان ديرياسين، من الرجال والنساء والأطفال البالغ عددهم ٢٥٤ نسمة، وقتلهم هو وجنود (الأرجون) لكى يفر العرب العزل مذعورين.
(المصدر: مناحم بيجين: العصيان، تاريخ الأرجون، ١٩٧٨ ، ص ٢..).
فهولم يطلب إلى اليهود، (ليس فحسب طرد العرب، بل الاستيلاء على كل فلسطين. وألم يكن طريق يشوع هى التى أشار إليها موشى ديان : . فإذا كنا نمتلك التوراة، وإذا كنا نعتبر أنفسنا شعب التوراة ، فينبغى لنا أن نمتلك كذلك أرضى التوراة)؟
(المصدر:جيروزاليم يوست، ١. أغسطس ١٩٧٧).
وألم يكن طريق يشوع هو الطريق الذى وضعه يورام بن بورات في الجريدة الإسرائيلية الكبرى أديعوت أحروتوت، الصادرة في ٤ ١ يولية ١٩٧٢ : (لا صهيونية واستعمار للدولة اليهودية بدون إبعاد العرب وطردهم والاستيلاء على أراضيهم)؟ أما وسائل وأساليب هذا الاستيلاء على الأرض فقد حددها رابين عندما كان

جنرالا على الأراضى المحتلة : تكسير عظام ملقى الأحجار من أطفال الانتفاضة. فماذا كان رد فعل المدارس التلمودية في إسرائيل؟ تسليم السلطة إلى أحد المسئولين المباشرين عن مذبحة صبرا وشاتيلا وهو الجنرال رفائيل إيتان الذى نادى (بزيادة تحصين المستوطنات اليهودية القائمة). وبنفس هذا اليقين، اندفع الدكتور باروخ جولدشتين، وهو مستوطن من أصل أمريكى، من قرية أربه (الضفة الغربية) وقتل أكثر من سبعة وعشرين فلسطينيا وجرح أكثر من خمسين، وهم يصلون في الحرم الإبراهيمى. كان باروخ عضوا في جماعة متطرفة تأسست برعاية أريل شارون (أى تحت حماية من قاد مذابح صبرا وشاتيلا والذي كوفىء على جريمته بتعيينه وزيرا للإسكان، ومكلفا بتنمية المستوطنات في الأراضى المحتلة) ، وهو الآن موضع تبجيل المتطرفين الذي يأتون إلى قبره بالزهور وينحنون لتقبيله، فهو الأمين على تقاليد يشوع الرامية إلى القضاء على كل شعوب كنعان من أجل الاستيلاء على أراضيهم.
وهذا التطهير العرقى الذي يمارس بشكل منتظم في دولة إسرائيل اليوم، ينبع من مبدأ النقاء العرقى الذى يمنع امتزاج الدم اليهودى بأى دم دنس من دماء الآخرين. وفي السطور التى تلى أمر الرب بالقضاء على السكان، يوصى الرب موسى وقومه بألا يزوج شعبه من بنات تلك الشعوب (سفرالخروج، الفصل الرابع والثلاثون, ١٦)
وفى سفر تثنية الاشتراع فإن الشعب المختار(الفصل السابع، ٦) لا ينبغى له الاختلاط بالآخرين : (ولا تصاهرهم ابنتك لا تعطها لابنه وابنته لاتأخذها لابنك)(الفصل السابع، ٣).
وهذا الفصل العنصرى هو الطريقة الوحيدة لمنع تدنيس العنصر المختار من الرب، والدين الذى يربطه به . وظل هذا الانفصال عن الآخر هو القانون. ففى كتابه (التلمود)(١) كتب الحاخام كوهين يقول : يمكن توزيع جميع سكان المعمورة بين إسرائيل والشعوب الأخرى جمعاء . فإسرائيل هو الشعب المختار) . ولم

يتقاعس عزرا ونحميا، عقب عودتهما من المنفى، في تطبيق هذا الفصل العنصرى: فقد بكى عزرا لأن الجنس الطاهر (كذا!)قد اختلط بشعوب البلاد (عزرا، الفصل التاسع، ٢).

---

(١) الحاخام كوهين: التلمود، باريس، ١٩٨٦ ، صفحة ١٠٤ .

وهو الذى أمر بالانتقاء الجنسى وبالتمييز العنصرى : (جميع هؤلاء اتخذوا نساء غريبات وكان منهن من ولدن بنين) (عزرا، الفصل العاشر، ٤٤) .ويقول نحميا عن اليهود: (فطهرتهم من كل غريب) (نحميا،الفصل الثالث عشر ٣٠). ومرض الخوف من الاختلاط ورفض الآخر قد تجاوز البعد الجنسى. فرفض دم الآخر بالزواج المختلط، يعنى رفض دينه كذلك وثقافته أو طريقة حياته. وهكذا فإن (يهوى) ينفجر غضبا في وجه من ينحرفون عن الحقيقة، والتى لا يوجد غيرها طبعا : فسوفونيا يقاتل ويحارب كل أشكال الملابس الأجنبية؛ ونحميا ضد اللغات الأجنبية : (وفى تلك الأيام أيضا رأيت يهودا قد تزوجوا نساء أشدوديات وعمونيات وموآبيات، وكان نصف كلام أولادهم بلغة أشدود ولم يكونوا يحسنون التكلم باليهودية بل بلسان شعب وشعب ، فخاصمتهم ولعنتهم وضربت منهم رجالا ونتفت شعرهم واستحلفتهم بالله أن لاتعطوا بناتكم لبنيهم ولاتأخذوا بناتهم لبنيكم ولا لكم).(نحميا،١٣، ٢٣- ٢٥). ومن يخالف ذلك، يتعرض للمحاكمة القاسية، وتؤكد ربيكا زوجة إسحاق وأم يعقوب : (وقالت رفقة (ربيكا) لإسحاق قد سئمت حياتى من أجل ابنتى حث فإن تزوج يعقوب بامرأة من بنات حث مثل هاتين أو من بنات سائر أهل هذه الأرض فمالى والحياة) . (التكوين، ٢٧ / ٤٦). وصاح والدا شمشون فزعا من زواج ابنهما من فلسطينية : (فقال له أبوه وأمه، أليس في بنات إخوتك وفى شعبى كله امرأة حتى تذهب وتأخذ امرأة من الفلسطينيين

القلف : فقال شمشون لأبيه : بل إياها تأخذ لى لأنها حسنت في عينى؟. (القضاة، ٣/١٤).
ويؤكد حاييم كوهين، الذى كان قاضيا بالمحكمة العليا في إسرائيل أنه : (من سخرية الأقدارالمريرة أن تستخدم نفس الأطروحات البيولوجية والعنصرية التى روج لها النازى والتى أوحت لهم بقوانين نورمبرج الشائنة، كأساس لتعريف الوضع اليهودى داخل (دولة إسرائيل) (انظر جوزيف بادى، القوانين الأساسية لدولة إسرائيل ، نيويورك،١٩٦٠،ص-١٥٦).
والواقع أن المسألة قد طرحت أثناء محاكمة مجرمى الحرب في نورمبرج، لدى استجواب منظر الإجناس جيولوس ستريشر: (في ١٩٣٥ وأثناء انعقاد مؤتمر الحزب في نورمبرج صدرت القوانين العنصرية) . فهل تم استدعاؤك أثناء إعداد مشروع القانون هذا لإسداء المشورة، وهل اشتركت بأى شكل من الأشكال في وضع هذه القوانين؟. ورد المتهم ستريشر: اجل ا اعتقد أننى شاركت في ذلك وإننى منذ سنوات وأنا أكتب أنه ينبغى في المستقبل منع أى اختلاط للدم الألمانى بالدم اليهودى. وقد كتبت عدة مقالات في هذا المعنى، وكررت دائما أننا ينبغى أن نأخذ الجنس اليهودى، الشعب اليهودى، كنموذج. وأعدت في مقالاتى أن اليهود يجب اعتبارهم كنموذج للأجناس الأخرى، لأنهم يتبعون قانونا عنصريا، هو قانون موسى، الذى يقول: إذا ذهبت إلى بلد أجنبي، ينبغي لك ألا تأخذ امرأة أجنبية) . وهذا أيها السادة، على درجة كبيرة من الأهمية للحكم على قوانين نورمبرج، فهى قوانين يهودية أخذت كنموذج. فهى أصل الحفاظ على الهوية اليهودية التى عاشت طوال عدة قرون في حين أن الأجناس الأخرى والحضارات الأخرى قد اندثرت) .
(المصدر: محاكمة كبار مجرمى الحرب أمام المحكمة العسكرية الدولية (نورمبرج:١٤نوفمبر١٩٤٥-أكتوبر ١٩٤٦ . النص الرسمى باللغة الفرنسية)).

وهكذا وضع المشرعون والمستشارون في وزارة الداخلية النازية قوانين نورمبرج، وحق أهالى الرايخ، وحماية الدم الألمانى والشرف الألمانى). ويعلق هؤلاء المستشارين والمشرعين على هذا قائلين : (بناء على رغبة هتلر (الفوهرر) ، فإن قوانين نورمبرج لا تستلزم حقيقة اتخاذ تدابير من شأنها أن تزيد من حدة التعصب العنصرى وانتشاره ، بل على النقيض من ذلك، فإن مثل هذه التدابير تعنى بداية نوع من الهدوء في العلاقات بين الشعب اليهودى والشعب الألمانى. وهكذا فإن أشد الصهاينة غلوا لم يظهروا أى نوع من المعارضة ضد روح قوانين نورمبرج). وهذه العنصرية، نموذج كل أنواع العنصرية الأخرى، هى أيديولوجية تستخدم لتبرير هيمنة الشعوب المختلفة. وأدت الحرفية إلى التمادى في المجازر التى قام بها يشوع: إن مستوطنى أمريكا من البروتستنت الأطهار، كانوا في سبيل الاستيلاء على أراضى الهنود ومطاردتهم، وهم يتذرعون بيشوع . وعمليات الإبادة المقدسة) للعمالقة والفلسطينيين.

(المصدر: توماس نلسون، (أطهارماسا شوشتش اليهودية، المجلد السادس عشر،رقم. ١٩٦٧،٢)

وتندرج أيديولوجية . الترنسفير) أى نقل السكان في إطار متوسط بين الإبادة الكنعانية والخوف من الاختلاط، وتساندها الآن غالبية خاخامات يهودا وسامرا. وتقوم هذه السياسة على أساس قراءة متطرفة للنصوص المقدسة، مثل الخطاب الموجه من الأحبار إلى اليهود يستحلفونهم فيها عدم ممارسة اختلاط الأجناس (الأحبار ١٩/١٩). وأمرهم بالتمييز بين الدم الطاهر والدم الدنس (الأحبار ٢٥/٢.)، والذى ميز بين إسرائيل والشعوب الأخرى(الأحبار ٢٤/٢.)، وذلك من أجل ممارسة التميز العنصرى (الخروج ١٩/٨). وهكذا لم يتورع الحاخام الأكبر سيشروك أن يقول عام ١٩٩٣ دون رادع أو وازع من أى جهة من الجهات: (أود ألا يتزوج الشباب اليهود أبدا إلا من شابات يهوديات). وهكذا فإن إسرائيل (المقدسة) (الأحبار ٢٦/٢.)

ينبغى ألا تتدنس (عزرا :١١/٩) الاتصال بشعوب أخرى التى مقتها الرب (الأحبار، 20 /٢٣). وتكرر هذا المنع مرارا وتكرارا. (ولا تصاهرهم ابنتك لا تعطها لابنه وابنته لا تأخذها لابنك، لأنه يغوى ابنك عن اتباعى..). (تثنية الاشتراع٣/٧-٤). (ولكن إذا ارتددتم واختلطتم ببقية هؤلاء الأمم (الشعوب الكنعانية)، الذين بقوا معكم وصاهرتموهم ودخلتم بينهم ودخلوا بينكم، فاعلموا أن الرب إلهكم لايعود يطرد أولئك الأمم من وجهكم بل يصيرون لكم وهقا ومعثرة وسوطا على جنوبكم وشوكا في عيونكم حتى تضمحلوا عن هذه الأرض الصالحة التى أعطاكم الرب إلهكم) . (سفر يشوع، ١٢/٢٣ - ١٣). وفى ١. نوفبر ١٩٧٥ ، وفى جلسة عامة، اعتبرت منظمة الأمم المتحدة أن الصهيونية شكل من أشكال العنصرية والتمييز العنصرى. ومنذ انهيار الاتحاد السوفيتى، وضعت الولايات المتحدة يدها على الأمم المتحدة وحصلت فى ١٦ ديسمبر ١٩٩١، على قرار بإلغاء القرار العادل الصادر في سنة ١٩٧٥ .مع أن الحقائق بثبت أن لا شيء قد تغير منذ ١٩٧٥ ، فقد اتخذ بالأحرى قمع الشعب الفلسطينى واستعماره وإبادته الجماعية البطيئة، أبعادا أوسع لم يسبق لها مثيل.

ثانيا أساطير القرن العشرين

أسطورة معاداة الصهيونية للفاشية

في عام ١٩٤١، اقترف إسحاق شامير (جريمة لاتغتفر من الناحية الأخلاقية، فقد دعا إلى التحالف مع هتلر ومع ألمانيا النازية ضد بريطانيا).
(بنزوهار، بنجوريون، النبيالمسلح، باريس، ١٩٦٦ ، ص-٩٩).
عندما بدأت الحرب ضد هتلر، وقفت الغالبية العظمى من المنظمات اليهودية إلى جانب الحلفاء ، بل إن غالبية زعماء اليهود ومنهم حاييم وايزمان، اتخذوا موقفا مساندا للحلفاء، إلا أن الجماعة الصهيونية رغم أقليتها في ألمانيا آنذاك اتخذت سياسة مخالفة منذ ١٩٣٣ وحتى ١٩٤١، وتواطأت بل وتعاونت مع هتلر. وكانت السلطات النازية، وفي الوقت الذى كانت تضطهد فيه اليهود بطردهم من الوظائف العامة على سبيل المثال في مرحلة أولى، تتحاور مع القادة الصهاينة الألمان ومنحتهم معاملة تفضيلية بتمييزهم عن اليهود من ذوى النزعة المتطرفة الذين كانت تطاردهم. ولا ينصب الاتهام بالتواطؤ مع السلطات النازية على الغالبية العظمى من اليهود، بل إن بعضهم لم ينتظر الحرب العالمية لمكافحة الفاشية بالسلاح في إسبانيا من ١٩٣٦ إلى ١٩٣٩ في صفوف الفرق الدولية. وأنشأ بعضهم في جيتو وارسو (لجنة الكفاح اليهودية) وماتوا وهم يحاربون. ولكن هذا الاتهام ينطبق على الأقلية التى كانت منظمة تنظيما جيدا والمكونة من القادة الصهاينة الذين كان همهم الوحيد إنشاء دولة يهودية قوية. وكان اهتمامهم الوحيد بإنشاء دولة يهودية قوية وحتى رؤيتهم العنصرية للعالم، قد جعل عداوتهم للإنجليزأشد من عداوتهم للنازية. وبعد الحرب، أصبحوا ،

كمناحم بيجين أو إسحاق شامير، قادة الصدارة في دولة إسرائيل.
وبتاريخ ٥ سبتمبر ١٩٣٩ - أى بعد يومين من إعلان إنجلترا وفرنسا الحرب على ألمانيا، كتب حاييم ويزمان رئيس الوكالة اليهودية إلى تشمبرلين، رئيس وزراء صاحب الجلالة ملك إنجلترا ، خطابا يبلغه فيه: إننا نحن اليهود في جانب بريطانيا العظمى وسنحارب من أجل الديموقراطية). مشيرا إلى أن (المفوضين عن اليهود على استعداد فورى لإبرام اتفاق للسماح باستخدام كل قواهم وعدتهم من الرجال ومهاراتهم التقنية ومساعداتهم المادية وكل قدراتهم) . وقد نشر هذا الخطاب في (الجويش كرونيكل)يوم٨ سبتمر ١٩٣٩، وهو يعتبر بمثابة إعلان حرب صريح من العالم اليهودى ضد ألمانيا. وقد طرح هذا الخطاب مشكلة احتجاز كل اليهود الألمان في معسكرات الاعتقال بوصفهم (رعايا شعب في حالة حرب مع ألمانيا، كما فعل الأمريكان مع مواطنيهم من أصل يابانى عشية دخولهم الحرب مع اليابان.
ولقد برهن الزعماء الصهاينة، في عصر الفاشية الهتلرية والموسولنية، على سلوك غامض ومشبوه بدءا من عرقلة الكفاح ضد الفاشية وحتى محاولة التعاون. فالهدف الأساسى للصهاينة لم يكن إنقاذ حياة اليهود ولكن إنشاء دولة يهودية في فلسطين. وقد أعلن أول رئيس لدولة إسرائيل، بن جوريون، ودون مواربة، في ٧ ديسمبر ١٩٣٨ ، أمام القادة الصهاينة من(العمال):لو كنت أعلم أنه من الممكن إنقاذ كل أطفال ألمانيا بإحضارهم إلى إنجلترا، أوإنقاذ نصفهم فقط بنقلهم إلى إسرائيل الكبرى، لاخترت الحل الثاني. لأننا يجب أن نحرص ليس فحسب على حياة هؤلاء الأطفال، بل وعلى تاريخ شعب إسرائيل أيضا).
(المصدر : إيفونجلبنير، السياسية الصهيونية ومصير اليهودية الأوروبية، القدس، المجلد الثاني عشر، ص- ١٩٩.)

(لم يكن إنقاذ يهود أوروبا على رأس أولويات الطبقة الحاكمة، بل كان تأسيس دولة هو الأمر المهيمن في نظرهم) .
1 المصدر : توم سيجيف ، المليون السابع ، باريس ١٩٩٣ ، ص-٥٣٩) .
وهذا التعصب يوحى بموقف الوفد الصهيونى في مؤتمر إيفيان، في يوليه ١٩٣٨ ، حيث اجتمعت ٣١ دولة لمناقشة استيعاب لاجئى ألمانيا النازية. فقد طالب الوفد الصهيونى وكحل وحيد ممكن، بقبول مائتى ألف يهودى في فلسطين. لقد كانت الدولة اليهودية بالنسبة لهم أهم من حياة اليهود. إن العدو الرئيسى بالنسبة لزعماء الصهاينة هو ذوبان اليهود وتمثلهم في مجتمعاتهم. وهم يلتقون في ذلك مع الفكر الأساسى لأى عنصرية، بما في ذلك العنصرية الهتلرية، وهو نقاء الدم. ولهذا السبب، وطبقا لمعاداة السامية المنظمة التى دفعت زعماء النازية إلى مطاردة كل اليهود من ألمانيا ثم من أوروبا عندما سيطروا عليها، فإن النازيين اعتبروا الصهاينة بمثابة السند لهم لأنهم يخدمون هذا المخطط. وهناك قرائن تدل على هذا التواطؤ. فقد وجه الاتحاد الصهيونى الألمانى إلى حزب النازى مذكرة في١-يونيه١٩٣٣،أعلن فيها ما يلى: (بتأسيس دولة جديدة، أعلنت مبدأ الجنس، نأمل أن تتواءم طائفتان مع الهياكل الجديدة. . . وإن اعترافنا بالجنسية اليهودية يسمح لنا بإقامة علاقات واضحة وصادقة مع الشعب الألمانى وحقائقه القومية والعنصرية. وذلك لأننا لانود أن نقلل من قدرالمبادئ الأساسية، ولأننا أيضا ضد الزيجات المختلطة. . فاليهود الواعون بهويتهم والذين نتحدث باسمهم، يستطيعون أن يجدوا مكانا لهم داخل هياكل الدولة الألمانية، لأنهم قد تحرروا من الشعور بالحقد والضغينة الذى يعانى منه اليهود الذين تمثلتهم المجتمعات الموجودين بها؟ . . إننا نعتقد في إمكانية العلاقات المخلصة بين اليهود الواعين بطائفتهم وبالدولة الألمانية. ولبلوغ هذه الأهداف العملية، تأمل

الصهيونية في أن تتمكن من التعاون حتى مع حكومة معادية تماما لليهود. . فإن تحقيق الصهيونية لا يضيره حقد اليهود في الخارج، وعدائهم للتوجه الألماني الحالى. والدعاية للمقاطعة - والموجهة حاليا ضد ألمانيا - هى في جوهرها ليست صهيونية.
(المصدر: لوسى داووفيش، قارئ للهلوكوست، ص١٥٥.)
وأضافت المذكرة:وإنه في حالة موافقة الألمان على هذا التعاون، سيسعى الصهاينة بكل جهدهم إلى تحويل اليهود في الخارج عن المناداة بالمقاطعة ضد ألمانيا.
(المصدر لوى داوفيش، الحرب ضداليهود(١٩٣٣-١٩٤٥) لندن، ١٩٧٧،الصغحتان ٢٣١، ٢٣٢.)
رحب الزعماء الهتلريون بتوجهات قادة الضهاينة الذين يتفقون معهم في التخلص من اليهود من أجل همهم الوحيد بإنشاء دولتهم في فلسطين. وكتب المنظر النازى الرئيسى الفريد روزنبرج : ينبغى مساندة الصهيونية بكل قوة حتى يتسنى نقل مجموعة من اليهود الألمان سنويا إلى فلسطين.
(المصدر أ. روزنبرج : مسار اليهود على مدار الزمن، ميونخ، ١٩٣٧، ص ١٥٣).
وكتب رينهارت هيدريش في عام ١٩٣٥ : يجب علينا أن نقسم اليهود إلى فئتين : الصهاينة ومؤيدى الاستيعاب في المجتمات الأخرى. فالصهاينة ينادون بمفهوم عنصرى بحت، وبالهجرة إلى فلسطين، يساعدون على بناء دولتهم اليهودية الخاصة بهم. . ولهم تمنياتنا وإرادتنا الرسمية .
(المصدر : هوهن: جمعية رأس الميت، ص ٣٣٣.)
وكتب مولاو شوانت إلى وزارة الداخلية: ليس هناك من الأسباب ما يدعو إلى عرقلة النشاط الصهيونى في ألمانيا بواسطة أى إجراءات إدارية ، لأن الصهيونية لا تتعارض مع برنامج الاشتراكية القومية (النازية) التى هدفها هو إبعاد يهود ألمانيا تدريجيا .
(المصدر : الخطاب رقم ٢١-٨٣ ،المؤرخ في 28/8/1935).

وقد طبقت هذه الأوامر بحذافيرها لتأكيد الإجراءات السابقة. وبفضل هذا المركز التفضيلى للصهيونية في ألمانيا النازية، كتب الجيستابو البافارى إلى البوليس في٢٨ يناير ١٩٣٥، هذا المنشور: (ينبغى ألا يعامل أعضاء المنظمة الصهيونية وبسبب نشاطهم الموجه نحو الهجرة إلى فلسطين، بنفس الصرامة الواجبة حيال أعضاء المنظمات اليهودية الألمانية).

(المصدر: كورت جروسمان، االصهاينة وغيرالصهاينة في ظل القانون النازى في الثلاثينات) المجلد الرابع، ، ص . ٣١).

(لقد كان وجود المنظمة الصهيونية ليهود ألمانيا وجودا قانونيا وشرعيا حتى عام ١٩٣٨ ، أى بعد مضى خمس سنوات على اعتلاء هتلر الحكم. . واستمرت صحيفة الصهاينة الألمان تصدر حتى ..١٩٣٨

(المصدر: ليوبوفيتش، إسرائيل واليهودية، ١٩٩٣، ص ١١٦).

وفي مقابل الاعتراف الرسمى بالزعماء الصهاينة بوصفهم الممثلين الوحيدين للطائفة اليهودية، فقدعرضوا القيام بكسرالحصار والمقاطعة التى كان أعداء الفاشية في العالم يحاولون فرضهما. وابتداء من ١٩٣٣ ، بدأ التعاون الاقتصادى: وأنشئت شركتان هما: شركة هعفرا، في تل أبيب، وشركة يالترو، في برلين. وكانت آلية العملية على النحو التالى : يودع أى يهودى يرغب في الهجرة، في بنك فاسرمان في برلين، أوفى بنك فاربورج في هامبورج، مبلغا لا يقل عن ١.. جنيه استرلينى وبهذا المبلغ يشترى المصدرون اليهود بضائع ألمانية وجهتها فلسطين، ومع دفع القيمة المقابلة بالجنيهات الفلسطينية ، ولحساب شركة هعفرا، في البنك الإنجلو فلسطينى في تل أبيب. وعندما يصل المهاجر إلى فلسطين، يتسلم ما يعادل المبلغ الذى أودعه في ألمانيا. وقد شارك عدد كبير من رؤساء وزراء إسرائيل في هذه العملية ولا سيما بن جوريون وموشى شاريت (الذي كان يسمى حينذاك موشى

شرتوك) وجولدا مائير التى ساندتها انطلافا من نيويورك، وليفى أشكول الذى كان هو الممثل في برلين. ٢
(المصدر: (بن جوريون وشرتوك)،ص٢٩٤.)
ولقد كانت العملية مربحة بالنسبة للطرفين : فقد نجح النازى في تحطيم الحصار (ونجح الصهاينة في بيع بضائع ألمانية حتى في إنجلترا) ، وحقق الصهاينة هجرة(انتقائية) كما أرادوها: فالمليونيرات وحدهم كان بوسعهم الهجرة (والتى كانت رؤوس أموالهم تسمح بتنمية الاستيطان الصهيونى في فلسطين) . وطبقا لأهداف الصهيونية، فقد كان الأهم هو إنقاذ رؤوس الأموال اليهودية من ألمانيا النازية لكى تتاح لها توسيع عمليتها، وإن حياة اليهود المعدمين أو غير القادرين على العمل أوعلى الحرب، ماهى إلا عالة وعبء ثقيل.
ودامت سياسة التعاون هذه حتى ١٩٤١(أى طوال ٨ سنوات بعد وصول هتلر إلى السلطة) . وكان إيخمان هو همزة الوصل مع كاستنر. فقد كشفت محاكمة إيخمان، وفى جزء منها على الأقل، عن آليات هذا التواطؤ (والمبادلات) بين اليهود الصهاينة (المهمين) بالنسبة لانشاء الدولة اليهودية (شخصيات غنية، تقنيون، شبان قادرون على تعزيز الجيوش.. . إلخ) وبين كتلة من اليهود أقل نفعا ومتروكة في يد هتلر. وأعلن رئيس هذه اللجنة إسحاق جرونبوم في ١٨ يناير ١٩٤٣: الصهيونية مقدمة على كل شيء.. (وسيقولون إننى معاد للسامية، وإننى لا أريد أن أنقذ من في المنفى، وإننى لا أملك قلب يهودى يدشى حار(واليدشى هى لغة يهود أوروبا)،.(...) ولندعهم يقولون ما يريدون. ولن أطالب الوكالة اليهودية بأن تخصص مبلغ ٣.....ولا مبلغ ١.... جنيه استرلينى لمساعدة اليهودية الأوروبية. وأظن أن من يطالب بمثل هذه الأمور فإنما يقترف إثما ضد الصهيونية).
(المصدر: جرونبوم: إيام التدمير، ص680).

وقد كان ذلك هو وجهة نظربن جوريون أيضا: اإن مهمة الصهيوني لاتكمن في إنقاذ بقية إسرائيل الموجودة في أوروبا، ولكن في إنقاذ أرض إسرائيل للشعب اليهودى). (واتفق زعماءالوكالة اليهودية على أن الأقلية التى يمكن إنقاذها ينبغى أن يتم اختيارها وفقا لاحتياجات المشروع الصهيونى في فلسطين).
(المصدر: توم سجيف، ص 125،ص١٥٨).
وقد حضرحنا أرنت، أحد كبار المدافعين عن القضية اليهودية بدراساته وكتبه، هذه المناقشات. وخصها بكتاب هو: إيخمان في القدس. بين فيه (الصفحات ١٤٣ - ١٤١-) سلبية بل وتواطؤ المجالس اليهودية التى كان ثلثاها يدار بمعرفة الصهاينة. ومن واقع كتاب إيسايا ترونك : (طبقا لحسابات فروديجر، كان من الممكن إنقاذ خمسين في المائة من اليهود إذا كانوا قد خالفوا تعليمات المجالس اليهودية ولم يتبعوها) . (صفحة ١٤١) . والأمرالذى له مغزاه هو ما حدث أثناء احتفالات الذكرى الخمسين بانتفاضة جيتو وإرسو، والذى طلب فيه رئيس دولة إسرائيل من ليش فاليزى، رئيس بولندا، ألا يعطى الكلمة لماريك إيدلمان، الرئيس المساعد لهذا العصيان وأحد الذين نجوا ومازالوا على قيد الحياة. فقد أجرى ماريك ايدلمان فعلا مقابلة آدوار التير من صحيفة هارتس الإسرائيلية فى١٩٩٣ ،ذكر فيها بمن كانوا هم المحرضون الحقيقيون وإبطال اللجنة اليهودية للكفاح في جيتو وارسو، وهم الاشتراكيون من البوند والمعادون للصهيونية، والشيوعيون، وأتباع تروتسكى، من أمثال ميخائيل روزنفلد ومالازيمتبوم، مع أدلمان وأقلية من صهاينة اليسار في بوعالى زيون أو هاشومر هتزائير. فقد ناضل هؤلاء ضد النازية بالسلاح كما فعل اليهود المتطوعون مع الفرق الدولية في إسبانيا وفرنسا، أثناء الاحتلال، والأعضاء اليهود في اليد العاملة المهاجرة.

ويحكى ناحوم جولدمان، رئيس المنظمة الصهيونية العالمية (ثم) (المجلس اليهودى العالمى) ، في سيرته الذاتية، مقابلته المأساوية مع وزير الخارجية التشيكى إدوار بينيس فى ١٩٣٥ ، التى عاب فيها على الصهاينة كسرهم لحصار هتلر بواسطة شركة هعفرا (واتفاقات النقل) ورفض المنظمة الصهيونية العالمية تنظيم المقاومة ضد النازية.

(لم أشعر في حياتى بالأسى والخزى في أى مقابلة من المقابلات العديدة التى أجريتها، إلا خلال هاتين الساعتين. لقد أحسست بكل شعرة في جسمى أن بينيس كان على حق) .

(المصدر : ناحوم جولدمان، السيرةالذاتية، الصفحات ١٥٧ ,١٥٨). (وقد استقبل موسولينى وايزمان في ٣ يناير ١٩٢٣ ومرة أخرى في ١٧ سبتمبر ١٩٢٦ ؛ وتحدث ناحوم جولدمان رئيس المنظمة الصهيونية العالمية مع موسيليني في ٢٦ أكتوير١٩٢٧ ، الذى قال له: سأساعدكم في إنشاء هذه الدولة اليهودية). (جولدمان، السيرة الذاتية، ص ١٧.).
وقد بلغت سياسة التواطؤ هذه ذروتها في عام١٩٤١ عندما اقترفت مجموعة من غلاة الصهاينة المتطرفين، وهى مجموعة (ليحى) (المحاربون من أجل تحرير إسرائيل) والتى كان يرأسها إبراهام ستيرن، وبعد وفاته ترويكا من بينهم إسحق شامير، (جريمة لا تغتفر من الناحية الأخلاقية وهى المناداة بتحالف مع هتلر، مع ألمانيا النازية، وضد بريطانيا ،.
(المصدر: بارزوهار، بن جوديون، المرجع السابق، باريس ١٩٦٦ ، ص- ٩٩). وكشف أليزرها ليفى، النقابى العمالى المعروف، وعضوكيبوتز يهوى، في أسبوعية (هوتام) التى تصدر في تل أبيب (بتاريخ 19 أغسطس ١٩٨٣) عن وجود وثيقة موقعة من إسحق شامير، (الذى كان يسمى حينئذ يزرنيتسكى) وإبراهام شيترن، سلمت إلى سفارة ألمانيا في أنقرة، في الوقت الذى كانت الحرب في أوروبا على أشدها، والتى وطأت فيها قوات روميل أرض مصر، جاء فيها: من ناحية المفهوم، فنحن نتطابق مع مفهومكم. فلماذا إذن لا نتعاون مع بعضنا البعض؟) . ويؤكد أحد الرؤساء التاريخيين لمجموعة (شتيرن) ، وهو إسرائيل الداد، في مقال له نشر قي جريدة أديعوت أحرونوت اليومية الصادرة في تل أبيب بتاريخ ٤ فبراير ١٩٨٣ ، على صحة هذه المباحثات بين حركته والممثلين الرسميين لألمانيا النازية. وهاك بعض الفقرات الريئسية لهذا النص : (المبادىء الأساسية للمنظمة العسكرية الوطنية في قلسطين (أرجون زفاى ليومى) بشأن حل المسألة اليهودية في أوروبا والمشاركة النشطة للمنظمة في الحرب إلى جانب ألمانيا) . يتبين من أقوال قادة

دولة ألمانيا القومية الاشتراكية (النازية) أن الحل الجذرى للمسألة اليهودية يكمن في إجلاء الجموع اليهودية عن أوروبا. وأن هذا هو الشرط الأولي لحل المشكلة اليهودية، ولكن هذا لا يمكن إلا بتوطين تلك الجموع في فلسطين، فى دولة يهودية، وداخل حدودها التاريخية. وإن حل المشكلة اليهودية بصورة نهائية ، وتحرير الشعب اليهودى، هو هدف النشاط السياسى والسنوات الطويلة لكفاح (الحركة من أجل حرية إسرائيل)(ليحيى) ومنظمتها العسكرية الوطنية في فلسطين. (أرجون زفاى ليومى) . وتعترف المنظمة بالموقف المتسامح لحكومة الريخ حيال الأنشطة الصهيونية داخل ألمانيا وبالخطط الصهيونية للهجرة، وأن المنظمة تعرض مشاركتها في الحرب إلى جانب ألمانيا شريطة اعتراف حكومة ألمانيا بالتطلعات القومية لحركة ليحى . وسيسير تعاون حركة تحرير إسرائيل ، طبقا للبيانات الأخيرة لمستشار الرايخ الألمانى التى شدد فيها السيد هتلر على أن أى مفاوضات وأى تحالفات ينبغى أن تساهم في عزل إنجلترا وهزيمتها. والمنظمة، بهياكلها ومفهومها للعالم، مرتبطة ارتباطا وثيقا بالحركات الشمولية الأوروبية) .

(المصدرب النص الأصلى باللغة الألمانية المنشور في كتاب دافيد يزدائيلى: المسألة الفلسطينية في السياسة الألمانية، من١٨٨٩ إلى١٩٤٥، ١٩٧٤ ،ص ٣١٥،٣١٧).

وحسب مصادر الصحافة الإسرائيلية، التى نشرت عشرات المقالات في هذا الموضوع، فإن النازى لم يأخذ اقتراحات شتيرن، والسيد شامير وأصدقائه على محمل الجد أبدا. وقد توقفت المفاوضات بين الطرفين عندما ألقت قوات الحلفاء القبض في يونيه ١٩٤١، على مندوب شتيرن وشامير، وهو نفتالى لوبنتشيك، داخل مكتب الجهاز السرى النازى في دمشق. وهناك أعضاء في المجموعة واصلوا الاتصالات حتى إلقاء القبضن على إسحاق شامير من طرف السلطات

البريطانية في ديسمبر ١٩٤١ ، بتهمة (الإرهاب والتعاون مع العدو النازى) . ومثل هذا الماضى لم يمنع إسحاق شامير من أن يصبح رئيس وزراء وأن يكون اليوم أيضا رئيسا لمعارضة قوية وأشدها تمسكا باحتلال الضفة الغربية. وفي الحقيقة فإن الزعماء الصهاينة، رغم مخاصماتهم الداخلية، يواصلون نفس الهدف العنصرى : طرد السكان العرب الأصليين بالترويع والاغتصاب أوالنفى، لكى يظلواوحدهم الغزاة والأسياد. لقد صرح بن جوريون: (إن بيجين ينتمى دون شك إلى النمط الهتلرى. فهوعنصرى على استعداد لإبادة كل العرب لتحقيق حلمه بتوحيد إسرائيل، وهو مستعد لإنجازهذا الهدف المقدس ، باستخدام كل الوسائل؟.

(المصدر أ. هابر، مناجم بيجين، الرجل والأسطورة، نيويورك، ١٩٧٩، ص 385).

ونفس هذا الإبن جوريون لم يؤمن أبداً بإمكانية التعايش مع العرب. وكلما قل عدد العرب على تخوم دولة إسرائيل، كلما كان ذلك أفضل. وفي عام ١٩٤. ، ولإثارة السخط على الإنجليز الذين كانوا قد قرروا إنقاذ اليهود المهددين من هتلر، وذلك باستضافتهم في جزيرة موريشيس، فإن الباخرة التى كانت تنقلهم وهى ناقلة البضائع الفرنسية اباتريا) ، وعند توقفها في ميناء حيفا يوم ٢٥ ديسمبر١٩٤. ؛ لم يتردد الزعماءالصهاينة من جماعة الهاجاناه (وكان رئيسهم بن جوريون) في تفجيرها، مما أدى إلى وفاة٢٥٢ يهوديا وأفراد طاقم الباخرة الإنجليز.

(المصدر: دكتود هرتزل روزيلوم، ١٩٥٨ وجويش نيوزلتر نيويورك، نوفمبر 1958)

ويؤكد يهودا باور حقيقة هذا التفجير بواسطة الهاجاناه ، وعدد الضحايا، في كتابه يهود للبيع. (باريس، ١٩٩٦، ص٨٤.).

ومثال آخر، العراق: لقد كانت الطائفة اليهودية (١١....شخصفي١٩٤٨) متأصلة في البلاد تماما. وأعلن حاخام

العراق الأكبر خدورى ساسون: (لقد تمتع اليهود والعرب بنفس الحقوق والامتيازات منذ ألف سنة ولم يعتبروا أنفسهم عناصر غريبة أو منفصلة عن هذا البلد) . ثم بدأت التصرفات الإرهابية الإسرائيلية، في ١٩٥.في بغداد. وأمام إحجام اليهود العراقيين وترددهم في تسجيل أنفسهم على قوائم الهجرة إلى إسرائيل، لم تتردد الأجهزة السرية الإسرائيلية ومن أجل إقناعهم بأنهم فى خطر، بإلقاء القنابل عليهم. . وقتل الهجوم على معبد اشيم توف، ثلاثة أشخاص وجرح العشرات . وهكذا بدأ الخروج الجماعى المسمى (عملية على بابا) .

(المصدر : جريدة أديعوت أحرونوت، ٨نوفمبر١٩٧٧).

وكان الهدف المنشودهو تجميع اليهود في جيتو عالمى. ولقد أثبتت الوقائع أن تيودور هرتزل كان على حق. وكان اليهود الصالحون يرددون كل يوم: * العام القادم في القدس) .

وجعلوا من القدس رمزا لتحالف الرب مع الإنسان. ولكن (العودة) لم تتم إلا بتخويف اليهود من التعرض لخطر أعداء السامية في البلدان الأجنبية. وفى ٣١ أغسطس ١٩٤٩، وفى حديث موجه لمجموعة من الأمريكيين الذين كانوا في زيارة لإسرائيل، قال بن جوريون :)رغم أننا حققنا حلمنا بإنشاء دولة يهودية ، فإننا ما زلنا في البداية. فلا يوجد في إسرائيل اليوم سوى ٩..... يهودى، بينما غالبية الشعب اليهودى مازالت موجودة في الخارج. ومهمتنا القادمة هى إحضار جميع اليهود إلى إسرائيل. وكام هدف بن جوريون هو إحضار أربعة ملاين يهودى في الفترة ما بين ١٩٥١ و ١٩٦١. ولم يحضر سوى ٨...... وفي عام١٩٦. ، وصل طوال السنة ٣....مهاجر فقط. وفي ١٩٧٥ -١٩٧٦،كانت الهجرة خارج إسرائيل تفوق الهجرة إليها. وبعض عمليات الاضطهاد الكبرى، كالتى حدثت فى رومانيا، هى التى كانت وراء العودة) وحتى فظاعة هتلر وأعماله الشرسة لم تنجح فى تحقيق حلم بن جوريون. فمن بين ضحايا النازية من اليهود الذين التجأوا إلى الخارج بين ١٩٣٥ و١٩٤٣، ذهب منهم

بالكاد نسبة ٥و٨ % للإقامة في إسرائيل. وحددت الولايات المتحدة استقبالهم بعدد ١٨٢... (أقل من ٧%)، وإنجلترا بعدد ٦٧... (أقل من 2%) أما الغالبية العظمى، أى نسبة ٧٥، فقد لجأت إلى الاتحاد السوفيتى.
(المصدر (معهد الشئون اليهودية، في نيويورك).
وثمة مثال نموذجى للتلاعب بالتاريخ من طرف المؤرخين الرسمين، ورد في كتاب يهودا باور الأخير، وهوعضو بمعهد التاريخ المعاصر لليهود في الجامعة العبرية في القدس. فكتابه عنوانه : يهود للبيع، مع عنوان جانبى: المفاوضات بين النازى واليهود ، ١٩٣٣ - ١٩٤٥، و صدر في باريس عام ١٩٩٦. ويدل مظهر الكتاب الخارجى على أنه عمل علمى بما يحتويه من حواش بلغ عددها ٥٢٣ حاشية مرجعية وببليوغرافية وفهارس. . إلخ. هذا في الظاهر فقط، لأن بعض المصادر التى تعالج الموضوع، والتى لم يستطع المؤلف تجاهلها ، مرت مر الكرام وفى صمت (ربما لأنها تتعارض مع نظريته التى ترمى إلى إبراز عناية زعماء الصهاينة بانتزاع اليهود الفقراء من براثن هتلر، في وقت كانوا يمارسون فيه نوعا من (الانتقاء)). والأعمال التى ذكرها المؤلف ، تنبع كلها من مؤلفات عائلته الروحية الصهيونية. ولم يشر الكتاب إلى تواطؤ جمعية أرجون تزفاى ليومى مع هتلر في ١٩٤١، الذى اقترحه شامير. وقد وضع باور قائمة بأسماء (المتفاوضين) مع هتلر، وأضاف : (وقد أصبحوا كلهم من الأبطال) أما كل من نادى بمقاطعة هتلرعلى مستوى العالم ، فهم في نظره ليسوا بأبطال . وغاية الكتاب هى محاولة إخفاء خقيقة أساسية هى أن الشغل الشاغل للزعماء الصهاينة أثناء حكم هتلر، لم يكن إنقاد اليهود من نار النازى، بل وطبقا للمشروع الصهيونى السياسى الذى وضعه تيودور هرتزل، هو تأسيس(دولة يهودية) قوية. والموضوع الرئيسى الثانى للكتاب هو الإيهام بأن حرب هتلر(هى حرب ضد اليهود) وليست حربا ضد الشيوعية في المقام الأول، مما جعله

يوجه معظم قوته الحربية تجاه الشرق، والسعى إلى إبرام سلام منفرد مع الولايات المتحدة بل وحتى مع إنجلترا، لكى يضمن الهيمنة على كل أوروبا دون الحاجة إلى المحاربة على جبهتين. (إن جميع المؤرخين يتفقون على أن هيملر كان يفضل سلاما منفصلا مع الغرب حتى يكرس كل قواه ضد الخطر البلشفى) (ص -١٦٧)(وكان فون بوبن يعتقد اعتقادا راسخا في تفاهم قادم مع الولايات المتحدة وألمانيا للوقف كسد في وجه الشيوعية) (باور، ص- ١٨٩). ولقد كانت (المفاوضات) بين الصهاينة والنازى هدفها بالضبط هو هذا الهدف ، وهومااضطر باور بالاعتراف به. (لقد كان النازى يعرفون، وعلى النقيض من الروس، أن حكومة صاحب الجلالة وحكومة الولايات المتحدة لهما من الضعف السياسى ما لا يسمح لهما بتحمل أى ضغوط من الضغوط التى يمارسها اليهود عليهما.(باور،ص٢٦.). وفي عام ١٩٤٤ ، اقترح إيخمان على المندوب الصهيونى براند، مبادلة مليون يهودى مقابل ١.... شاحنة لاستخدامها على الجبهة الروسية دون سواها. وساند بن جوريون وموشى شاريت (شرتوك) هذا العرض، ووجه بن جوريون بالفعل نداء شخصيا إلى روزفلت (حتى لاتفلت هذه الفرصة الفريدة وربما الأخيرة لانقاذ آخر يهود أوروبا) . ولقد كان الهدف واضحا : مبادلة اليهود مقابل معدات إستراتيجية، بل وإقامة اتصالات دبلوماسية مع الغرب، وهى اتصالات قد تؤدى إلى سلام منفرد ، أو حتى إلى حرب يشترك فيها الألمان مع الغربيين ضد السوفيت(باور،ص٣٤٣).

وأخفقت هذه المؤامرة عندما قام الأمريكان والانجليز بإبلاغ السوفييت بهذه المساومات . ويقول باور فى هذا الصدد : (لقد كان الدور الأساسى لروسيا في المعركة ضد ألمانيا النازية بمثابة الدعم الجوهرى لصلابة موقف الحلفاء . فقد انهزم الفرماخت (الجيش الألمانى) في روسياعلى يد الجيش الأحمر. وبدون السوفيت وما عانوه، وبدون أعمالهم البطولية، فإن

الحرب كانت ستدوم سنوات وسنوات وربما لم نكسبها). (باور ص- ٣٤٧). وعلى كل حال، فإنه من البداية وحتى النهاية، لم يفكر الزعماء الصهاينة (وهم الذين تولوا الحكم في إسرائيل مثل شامير)إلا في تأسيس دولة قوية في فلسطين، ولم يفكروا لحظة واحدة في المسئوليات التى تقع على عاتق جماعة المقاومين لهتلر، كما لوأن النازين لم يكن لهم أعداء أو ضحايا إلا اليهود، وأن الأمر لا يعدو سوى إنقاد اليهود وحدهم. وحتى الإنجليز فقد انتهى بهم الحال إلى إظهار سخطهم لهذه الرغبة في تجاهل معاناة 50 مليون من ضحايا الهتلرية، والمطالبة بإنقاذ اليهود دون سواهم ولكن ليس كل اليهود بل كل من يقدر منهم على بناء دولة قوية في فلسطين.

اسطورة عدالة نورمبرج

(إن هذه المحكمة تمثل استمرارا لجهود حرب الدول الحليفة) روبرت جاكسون النائب العام للولايات المتحدة (جلسة ٢٦ يوليه ١٩٤٦). في ٨ اغسطس ١٩٤٥، اجتمع الزعماء الأمريكيون والإنجليز والفرنسيون والروس في لندن للاتفاق على (ملاحقة وتوقيع العقاب على كبار مجرمى الحرب التابعين لقوى المحور) وذلك بإنشاء محكمة عسكرية دولية (المادةالأولى،أ). وقد صنفت الجرائم في المادة ٦ من الفصل الثاني على النحو التالى:

١ - جرائم ضد السلام ، وهى تتعلق بتحديد مسئولية من قاموا بإشعال الحرب.

٢ - جرائم الحرب، وتخص خرق قوانين وأعراف الحروب.

٣- جرائم ضد الانسانية، وهى الجرائم المقترفة ضد المدنيين. وتشكيل مثل هذه المحكمة يحتاج إلى بعض التعليقات :

أولا- أنها لم تكن محكمة دولية حيث لم تتشكل إلامن المنتصرين في الحرب، وبالتالى فإن الجرائم التى كانت ستحجز هى

---

(١) في١٩١٩، كتب الاقتصادى الشهير لورد أورج كينز يقول: بمعاهدة كهذه، فإن حربا جديدة ستقوم بعد عشرين عاما.

الجرائم التى اقترفها المنهزمون. وهو ما اعترف به النائب العام الأمريكى روبرت جاكسون الذى كان يرأس جلسة ٢٦ يوليه ١٩٤٦، حيث قال: ما زال الحلفاء عمليا في حالة حرب مع ألمانيا. . . وبوصفها محكمة عسكرية، فإن هذه المحكمة لا تمثل سوى استمرارالجهود حرب الشعوب الحليفة) .

- وعلى هذا فالأمر يتعلق بمحكمة استثنائية شكل آخر فصل من فصول الحرب، وتنفى من حيث مبدأها، المسئولية عن المنتصرين، وقبل كل شىء مسئوليتهم إشعال الحرب.

ففى نورمبرج لم تطرح مسألة ما إذا كانت معاهدة فرساى، بكل عواقبها، وخاصة تضاعف حالات الإفلاس، وكذلك البطالة، قد أتاحت لشخص كهتلر الوصول إلى الذروة بموافقة غالبية الشعب الألمانى(1). وعلى سبيل المثال، إجبارألمانيا المهزومة في ١٩١٨ ، على دفع ١٣٢ مليارمن الماركات الذهب، كتعويضات حرب، في الوقت كانت فيه الثروة القومية لألمانيا تبلغ ٢٦. مليارمارك ذهبا. وانهار الاقتصاد الألمانى وأصيب الشعب الألمانى بالإحباط من جراء عمليات الافلاس وتدهور العملة، وخاصة البطالة، مما أدى إلى صعود نجم هتلر بمنحه أسهل المبررات لدعم فكرته الرئيسية وهى إلغاء معاهدة فرساى وما تضمنته من بؤس وإذلال للشعب الألمانى . وعندما حصل هتلر وأعوانه من السياسيين على الأغلبية المطلقة في الريشتاخ (البرلمان الألمانى) ، بدأت إعادة التسلح بمساعدة من الشركات الأمريكية والإنجليزية والفرنسية الكبرى، ومن بينها شركة الكمياويات الإمريكية ديبون دى نيمور وشركة أمبيريال كميكالز، مصرف ديلون في نيويورك الذى قدم الإعانات لصناعة الصلب، وهناك صناعات أخرى مولت من طرف مورجان أو روكفلر. . وهكذا شارك الجنيه الإنجليزى والدولار الإمريكى في المؤامرة التى جاءت بهتلرإلى الحكم. ولكن مدراء هذه الشركات لم يتم استجوابهم أمام محكمة نورمبرج في إطار االمؤامرة ضد السلام). وكثيرا ما ذكرت اللعنات التى كان يكيلها هتلر وزعماء النازى للشيوعيين واليهود. وخاصة ما جاء في الفصل الخامس عشر من الجزء الثانى من (كفاحى) حيث تناول هتلر ماضى حرب الغارات التى شنها الإنجليز أثناء الحرب العالمية الأولى، وهوالفصل المعنون: (حق الدفاع الشرعى)، والذى أشار فيه هتلر إلى أنه كان من الأدعى له التخلص من عدة آلاف من اليهود في الوقت المناسب، حتي ينقذ حياة مليون من الألمان الطيبين وإلشجعان. وفي حديث له أمام البرلمان في ٣.يناير ١٩٣٩ ، قال كذلك: (يستطيع اليهود ان يواصلوا شن حرب

الإنهاك في بعض الدول حيث تحميهم الاحتكارات والامتيازات التى يمارسونها على الصحافة والسينما والدعاية الإذاعية والمسارح والأدب وغيرها. ومع ذلك، فإذا ما نجح هنا الشعب مرة ثانية في دفع ملاين الأشخاص إلى نزاع قد يعود عليهم بالفائدة، فإن ذلك سيؤدى إلى ظهور شجاعة الحركة التوضيحية التى سمحت بالقضاء نهائيا على اليهودية في ألمانيا خلال عدة سنوات .

وفي ٣. يناير ١٩٤١، قال هتلر لجموع يهود أوروبا(إن دورهم سيكون قد انتهى بحالة حرب شاملة) . وصرح في بيان آخر بتاريخ . ٣ يناير ١٩٤٢، أن الحرب (ستقضى على اليهودية في أوروبا) . والوصية السياسية لهتلر التى نشرتها المحكمة العسكرية الدولية تعج بهذه الأراء . فهتلر يتحدث عن تدمير (نفوذ ما) أما هيملر فإنه يتحدث مباشرة عن تدمير الأشخاص. فقد قال لجنرالاته في ٥ مايو ١٩٤٤،في سونتهوفن، ما يلى: (في هذا النزاع مع آسيا، ينبغي لنا أن نعتاد على نسيان قواعد اللعبة والأخلاقيات المتعارف عليها أثناء الحروب الأوروبية الماضية، رغم أنها عزيزة علينا وتتناسب مع عقليتنا. ولكن هذه الوحشية لم تكن من نصيب معسكر واحد . فقد طلب لكيفتون فاديمان، محرر مجلة نيويوركر الأسبوعية، في عام١٩٤٢إلى الكتاب(خلق روح من الحقد الشديد ضد كل الألمان وليس فقط ضد زعماء النازى. وأضاف : والطريقة الوحيدة لكى يفهمنا الألمان هى قتلهم. وحتى بهذا فإنهم لن يفهموا. وفي شهرأبريل ١٩٤٢، كتب يمتدح كتاب دى سال (إعداد الغد) ويشرح مفهومه العنصرى، فقال: إن العدوان النازى ماهو بفعل مجموعة من الأوغاد ولكن التعبيرالنهائى عن الغرائزالعميقة للشعب الألمانى. وما هتلر إلا تجسيد لقوى أكبر منه) . ووافق على اقتراح هيمنجواى القائل: إن الحل النهائى سيكون هو تعقيم النازى بالمعنى الجراحى للكلمة. ولم تكن هذه الآراء بالآراء المنفردة فقد نشر الأب ويب في جريدة الديلى هيرالد

اللندنية مقالا في أعقاب بيان هتلر في السبور تبالست، جاءفيه : إن كلمة السر يجب أن تكون (القضاءعليهم) ، ومن أجل ذلك تركيزعلمنا على اكتشاف مفرقعات جديدة ومخيفة. . ورغم أن رجل الدين لاينبغى له أن ينزلق إلى مثل هذه العواطف، إلا أننى صراحة لو استطعت ، لمحوت ألمانيا من خريطة العالم. إنه جنس شيطانى كان لعنة على أوروبا طوال قرون). ولحسن الحظ ثارت الاحتجاجات ضد مثل هذه الضلالات في إنجلترا حيث لا يمكن الخلط بين الشعب الإنجليزى وثقافته الرفيعة وبين زعماء دمويين ممتلئين بالحقد والبغضاء ، وهو ما ينطبق أيضا على ألمانيا وشعبها. ومنذ عام ١٩٣٤ ، أعلن الزعيم الصهيونى فلاديمير جابوتنسكى. (إن مصالحنا اليهودية تحتم القضاء النهائى على ألمانيا، فالشعب الألمانى في مجموعه يمثل لنا خطرا كبيرا) . وقال تشرشل من جانبه في ١٦ مايو ١٩٤٠: (سنجوع ألمانيا. وستدمر مدنها وسنحرق محاصيلها وغاباتها) .
(المصدر : بول بودوان، تسعة أشهر في الحكومة،١٩٤٨، ص ٥٧) .
وقال الوزير البريطانى اللورد فانسيتارت في عام ١٩٤٢، تبريرا لفظاعة الغارات البريطانية : (إن الألمان الطيبين وحدهم، هم الموتى الألمان؛ وعلى ذلك، فلتمطر السماء القنابل !)
وكتب تشرشل في يوليه ١٩٤٤ إلى رئيس أركانه الجنرال هيستنجز، مذكرة من أربع صفحات يقترح عليه فيها المشروع التالى : (أود أن تفكر جديا في مسألة الغازات الخانقة. . . وأود أن نبحث بهدوء نتائج استخدام الغازات الخانقة هذه. . . ولا ينبغى لنا أن نقف مكتوفى الأيدى بسبب مبادىء حمقاء ،.... .
(المصدر: الإرث الأمريكى-عدد أغسطس-سبتمبر ١٩٨٥).
ولم يقف لا تشرشل ولا ترومان ولا ستالين في قفص الاتهام كمجرمى حرب. كما لا يقف المنادون بأفظع الجرائم مثل تيودور كوفمان الأمريكى اليهودى الذى وجه في ١٩٤٢ نداء بالإبادة الفعلية، ضمن كتابه : (يجب إبادة ألمانيا) ، قال فيه :

(إن الألمان لا يستحقون أن يحيوا) . وكذلك ما جاء في نداء الكاتب السوفيتى إيليا اهربنورج عام١٩٤٤: اقتلوا فلا أبرياء لدى الألمان لا بين الأحياء ولابين من سيولدون ا). وهؤلاء أيضا لم يقفوا في قفص الاتهام ضمن المتهمين في نورمبرج، كما لم يقف رؤساء دولهم الذين كانوا يحمونهم ويساعدونهم ولا المسئولون الإنجلو- أمريكان عن قصف مدينة درسدن الألمانية، والذى اسفر عن ٢..... من الضحايا المدنين، وذلك دون ادنى فائدة عسكرية، لأن الجيش السوفيتى كان قد تجاوز هذه الأهداف. ولا ترومان بإلقائه قنبلتين ذريتين على هيروشيما ونجازاكى ومصرع ٣..... من الضحايا المدنيين، دونما ضرورة عسكرية لأن تسليم اليابان كان قد قرره الإمبراطور. ولا بيريا وستالين، على سبيل المثال، اللذان ألقيا بمسئولية مذبحة كاتين على الألمان، والتى قتل فيها الآلاف من الضباط البولنديين. لقد كانت أساليب الإجراءات تنبثق عن نفس المبادئ (أو انعدام المبادئ) الخاصة باختيار المتهمين من بين المنهزمين وحدهم. وهكذا جاء النظام الأساسى-لهذه المحكمة:
المادة١٩ : لن تتقيد المحكمة بالقواعد الفنية المتعلقة بإقامة الأدلة والبراهين. وهى ستتبع وستطبق بقدر الإمكان إجراءات سريعة.
• المادة ٢١: لن تطلب المحكمة تقديم البراهين على الأعمال ذات الشهرة العامة، وستعتبرها ثابتة وستعتبر كذلك كبراهين صحيحة الوثائق والتقارير الرسمية الصادرة عن حكومات الحلفاء . هذا هوالوحش القانونى الذى ينبغى أن تؤخذ قراراته كقاعدة مسلم بصحتها وكمعايير لحقيقة تاريخية لا يمكن أن يمسها إنسان طبقا لقانون جيسو-فابيوس الصادر في١٣ يوليه ١٩٩.(فى فرنسا). فهذا النص قد أضاف إلى قانون حرية الصحافة الصادر في ١٩٨١ ، المادة ٢٤ مكرر، التى تنص علي ما يلى : (يعاقب بالعقوبات المنصوص عليها في الفقرة السادسة من المادة ٢٤(وهى بالحبس لمدة تتراوح بين شهر وسنة

واحدة، وبغرامة قدرها من ٢... إلى ٣.....فرنك، أوبإحدى هاتين العقوبتين)كل من ينكر ، بإحدى الوسائل المنصوص عليها في المادة ٢٣، وجود جريمة أو أكثر من الجرائم ضدالإنسانية كماجاءت في المادة ٦ من النظام الأساسى للمحكمة العسكرية الدولية الملحقة باتفاق لندن بتاريخ ٨ أغسطس ١٩٤٥، والتى اقترفت سواء من طرف أعضاء في منظمة ظهر أنها منظمة إجرامية تطبيقا للمادة ٩ من النظام المذكور، أو سواء بواسطة شخص ثبتت إدانته في مثل هذه الجرائم من محكمة فرنسية أو دولية. وللمحكمة أن تأمر كذلك بالآتى:

١- الإعلان عن قرارها بالشروط المنصوص عليها في المادة ٥١ من القانون الجنائى.

٢ - نشر هذا القرار أو إدراجه ضمن بيان بالشروط المنصوص عليها في المادة ١-١ ٥ من القانون الجنائى، دون أن تتجاوز مصاريف النشر أو الإدراج الحد الأقصى للغرامة المستحقة.

ولقد أثارت إجراءات محكمة نورمبرج اعتراضات حتى في صفوف القانونيين الأمركيين وعلى أعلى مستوى، وهم قضاة المحكمة العليا، بدءا بالقاضى جاكسون الذى كان رئيسا لمحكمة نورمبرج وفى ذلك يقول المؤرخ الإنجليزى دافيد أرفنج: لقد شعر كبار القانونين في العالم أجمع بالخجل من إجراءات نورمبرج. ولا شك أن القاضى روبيرت جاكسون، الرئيس الأمريكى للادعاء ، كان يخجل من هذه الإجراءات. وقد اتضح ذلك من مذكراته الشخصية التى قرأتها. أما القاضى فينرستروم، من المحكمة العليا في الولايات المتحدة، ورئيس إحدى المحاكم فقد أبدى امتعاضه واشمئزازه من جو المحاكمة وموقف المترجمين والمحامين ووكلاء النيابة . . بحيث إنه رفض قبول تعيينه وغادر ألمانيا فجأة وعاد إلى الولايات المتحدة. ونشر في جريدة شيكاغو ديلى تريبيون الصادرة في ٢٣ فبراير ١٩٤٨، اعتراضاته على التنظيم والإجراءات. ووفقا للنظام الأساسى لمحكمة نورمبرج الذى ينص على أن تقارير لجان

تفتيش الحلفاء تعتبر من القرائن، فقد ووفق على التقرير السوفيتى بشأن كاتين، والذى يتهم الألمان بقتل ١١... ضابط بولندى، (كدليل إثبات صحيح) ، ولا يناقش من طرف المنتصرين. وفي ١٣ أبريل ١٩٩.، أعلنت الصحافة الدولية أن جريمة كاتين كان مدبرها بيريا والسلطات السوفيتية. ولكى لا نحيد عن موضوعنا الأصلى : (الأساطير المؤسسة لدولة إسرائيل) ، سنعكف على بحث إحدى الأكاذيب التى سببت حتى الآن وبعد مضى ما يزيد على نصف قرن ، أضرارا شديدة فى عالمنا الحاضر، وهى أسطورة الستة ملاين من الضحايا اليهود، والتى أصبحت عقيدة تبرر وتضفى القداسة (وكما تقتضية عبارة الهولوكوست) على انتهاكات وابتزازات دولة إسرائيل في فلسطين، وفي كل الشرق الأوسط ، وفى الولايات المتحدة، وفي كل السياسة العالمية، بوضعها فوق كل قانون دولى. ولقد اعتمدت محكمة نورمبرج هذا إلرقم رسميا، وهو الأمر الذى ما انفك يستخدم منذ ذلك الحين للتلاعب بالرأى إلعام في الصحافة ، المكتوبة والمقروءة، وفي الأدب والسينما، وحتى في الكتب المدرسية. غير أن هذا الرقم لا يستند إلا إلى شهادتين : شهادة هوتل وأخرى لويزليسنى(وهما من ضباط الأمن النازين) وهاك ما أعلنه الأول: (في أبريل ١٩٤٤، جرى حديث بينى وبين أدولف إيخمان الذى كنت أعرفه منذ ١٩٣٨ ، وذلك في شقتى ببودابست - . . . وكان يعرف أنه يعتبر من مجرمى الحرب من طرف الحلفاء لمسئوليته عن قتل آلاف اليهود. وطلبت منه كم كان عددهم، فأجابنى رغم سرية العدد الشديدة، إنه طبقا للمعلومات التى بمتلكها فقد وصل إلى النتيجة التالية : نحو ٤ ملايين يهودى قتلوا في مختلف معسكرات الاعتقال، كما أن هناك مليونين ماتوا بوسائل أخرى).

(المصدر: محاكمة نورمبرج، المجلد الرابع، ص ٦٥٧)

وأعلن الثاني: (كان إيخمان يقول إن شعوره باقترافه مصرع خمسة ملايين شخص هو مصدر لسعادته ورضاه) (المصدر السابق) . وهاتان الشهادتان، كما يقول مولياكوف نفسه : (من الممكن الاعتراض على هذاالرقم الذى لاسند له كمايمكن اعتباره رقما مشبوها) .
(المصدر: مجلة تاريخ الحرب العالمية الثانية، أكتوبر ١٩٥٦).
وتذكر الصحيفة العبرية الصادرة في نيويورك بتاريخ 30 يونيه ١٩٦٥ إنه في ذلك التاريخ، كان هناك ٣ ملاين و ٣٧٥...شخص قد قدموا طلبات للحصول على (تعويضات) نظير الخسائر التى تكبدوها إبان سيطرة هتلر. ونضيف أن الشهادة الرئيسية، وهى الشهادة الأكمل والأدق، كانت شهادة هوتل، عميل المخابرات.
(المصدر: المجلة الإنجليزية ويك اند، ٢٥ يناير ١٩٦١.)
وتأكيدا منا لاعتراضات كبار القانونيين في المحكمة العليا للولايات المتحدة وغيرهم، على التشوهات القانونية لمحكمة نورمبرج، فسنذكر هنا فقط وعلى سبيل المثال، انتهاكات القواعد الثابتة لإجراءات أى قضية حقيقية:
١ -إقامة الدليل على صحة النصوص المقدمة والتحقق منها.
٢-تحليل قيمة الشهادات والظروف التى تم في ظلهاالحصول عليها.
٣-البحث العلمى لسلاح الجريمة لاثبات استخدامه وآثاره .

أ- النصوص:

تتألف النصوص الأساسية، والتى تعتبر حاسمة للتدليل على (الحل النهائى) من أوامر الإبادة التى تنسب إلى كبار المسئولين : هتلر وجورنج وهيدريش وهيملر، والتوجيهات الصادرة لتنفيذها .

أولا: توجيهات هتلر بشأن الإبادة.

فرغم الجهودالتى بذلهاالمنظرون للإبادة الجماعية والهولوكوست، فلم يوجد لها اثر. وكتبت السيدة أولجا ورمسر-ميجو في ١٩٦٨ ، تقول : كما أنه لا يوجد أمر خطى مكتوب بوضوح للإبادة بالغاز في اوشفيتز، فلا يوجد أيضا أى أمر بإيقافها في نوفبر ١٩٤٤).

(المصدر : أولجاورمسر-ميجو، نظام المعسكرات النازية، باريس١٩٦٨ ، ص-٥٤٤وص-13.

ويعترف الدكتور كيبوفي من مركز الوثائق في تل أبيب عام ١٩٦٠: (لاتوجد أى وثيقة ممضاة من هتلرأوهيملر أوهيدريش تتحدث عن إبادة اليهود.. . ولا تظهر عبارة . الإبادة) في خطاب جورنج الموجه إلى هيدريش بشأن الحل النهائى للمسألة اليهودية).

(المصدر :لوسى داوديقتيش، الحرب ضد اليهود، ١٩٧٥، ص-١٢١).

وصرح ريمون أرون وفرانسوا فيرى(وهما من كبار المفكرين الفرنسيين) في موتمر صحفى عقد في فبراير ١٩٨٢ ا.

. رغم البحوث المتعمقة، لم يتم العثور مطلقا على أمرمن هتلر بابادة اليهود.

(المصدر: والتى لاكير، السر الفظيع * ١٩٨١، م-190).

ووقع بعض المؤرخين على البيان التالى بايعاز من فيدال ياكيه وليون بولياكوف: .(...) لا يجب التساؤل عن الكيفية التى كان من الممكن بها تقنيا القيام بمثل هذه المجزرة الجماعية. لقد كانت ممكنة تقنيا لأنها حدثت. وهذه هى نقطة الانطلاق اللازمة

لأى تحقيق تاريخى حول هذا الموضوع وعلينا أن نذكر بهذه الحقيقة بكل بساطة ، فلا نقاش ولن يكون هناك نقاش حول وجود غرف الغاز). وهذه الممنوعات الثلاثة، أو المحرمات الثلاثة هى الحدود النهائية لأى بحث. وهذا النص يعتبر بالفعل بداية تاريخية في تأريخ التاريخ، بوضعه مثل هذه الأوامر الشرطية مسبقا أمام أى بحث أو نقد للأحكام التى أصدرها المنتصرون . ولكن التاريخ إذا أراد أن يحترم النظم الأساسية العلمية، ينبغى أن يكون بمثابة بحث دائم، وتفنيد لكل ما نعتقد أنه قد ثبت نهائيا مثل قوانين نوتن. وهاك مثال مشهور:

1 . لقد توخت اللجنة الدولية,لاوشغيتز في نوفمبر ١٩٩٠، استبدال اللوحة التذكارية في اوشفيتيز والتى تشير إلى (٤ ملايين من الضحايا) بأخرى تحمل عبارة . أكثر من مليون قتيل) . ولكن الدكتور جولدشتين، رئيس اللجنة اعترض غلى ذلك) .

(المصدر : جريدة لوسوار، بروكسل، ١٩ -٢٠. أكوبر ١٩٩١، ص - ١٦).

والواقع أن الدكتور جولدشتين لم يعترض على ضرورة تغيير اللوحة القديمة، ولكنه كان يرجو ألا تحمل اللوحة الجديدة أى رقم، لعلمه أنه قد يصبح من الضرورى في زمن قصير إعادة النظر مرة أخرى في تخفيض الرقم المذكور. وعلى هذا فإن اللوحة المثبتة على معسكربيركيناو، حملت التدوين التالى حتى عام ١٩٩٤ . (هنا وفي الفترة ما بين ١٩٤٠، ١٩٤٥، عذب أربعة ملايين من الرجال والنساء والأطفال وقتلوابواسطة عمليات الابادة الهتلرية،. وبفضل ما قامت به اللجنة الدولية لمتحف الدولة الذى يرأسه المؤرخ فلاديسلاف برتوزيسكى، تعدل النص على النحوالتالى والذي لا يبعد عن الحقيقة: (ليصبح هذا المكان ، الذى قتل فيه النازيون مليون ونصف مليون رجل وامرأة وطفل، معظمهم من اليهود والقادمين من مختلف البلدان الأوروبية، وإلى الأبد صرخة يأس وإنذار للإنسانية).

(المصدر: مقال لوك روزنفيج في جريدة لموند،٢٧ يناير ١٩٩٥.)

وهدا المثال يبين لنا أن التاريخ، لكى يفلت من الإرهاب الفكرى للمنادين بالحقد والبغضاء، يقتضى إعادة نظر دائمة. فإما أن يكون تعديلى (أى قابل لإعادة النظر فيه وتعديله) وإما أن يكون محض دعاية مقنعة. ونعود الآن إلى التاريخ بمعناه الحقيقى، فقد عولجت مسألة اليهود في برنامج الحزب القومى الاشتراكى(النازى) في المادة ٤ من البرنامج: .لايحق لأى شخص حيازة الجنسية الألمانية إلا من المواطنين الكاملى المواطنة. وهؤلاء المواطنون هم الذين يجرى في عروقهم الدم الألمانى، دون تمييزعقائدى. وعلى ذلك، فلايمكن لأى يهودى أن يكون مواطنا كامل المواطنة، . وفي المادة ٥،جاء مايلى: (من لم يملك الجنسية الألمانية لا يمكنه العيش في ألمانيا بصفة مضيف، ويجب أن يخضع للتشريعات المعمول بها بشأن إقامة الأجانب). وجاء كذلك في المادة ٨ ، ضرورة إيقاف أى هجرة جديدة لغير الألمان وكذلك الطرد الفورى لغير الألمان الذين دخلوا ألمانيا منذ ٢ أغسطس ١٩١٤ . وهذه النقطة الأخيرة موجهة بشكل واضح ضد اليهود الشرقين الذين وصلوا بأعداد كبيرة إلى الريخ أثناء الحرب العالمية الأولى وبعدها. ونصت ادادة ٢٣ على أنه لا يحق لليهود العمل في الصحافة. وأكدت المادة٢٤على أن الحزب يكافح ضد(العقلية المادية اليهودية.)

أوامر هتلر بشأن إبادة اليهود

كتب راؤول هيلبرج في كتابه (القضاءعلى يهود أوروبا) الذي صدرت طبعته الأولى عام ١٩٦١ ، أن هناك أمرين للإبادة صدرا عن هتلر: أحدهما في ربيع ١٩٤١(دخول روسيا) والآخر بعد عدة شهور من هذا التاريخ. ولكن في عام ١٩٨٥ ، وفي الطبعة الثانية، المنقحة، حذفت جميع الإشارات إلى أوامر أو قرارات هتلر بشأن (الحل النهائى) بصورة منهجية.

(المصدر : هيلبرج يراجع نفسه حوليات سيمون فيزنتال، (المجلد٣، 1986،ص-٢٩٤.) ففى طبعة ١٩٦١ يذكر هيلبرج أن (الأمر كان شفويا). أى أن الجنرال جوديل قال إن هتلر قال. .

وكان هتلر ينادى في كتابه (كفاحى) برغبته في طرد اليهود من ألمانيا. واقترح ريبنتروب تجميعهم في مدغشقر التى كانت تابعة لفرنسا آنذاك. وفي يوليه ١٩٤٠، أوجز المسئول عن الشئون اليهودية فرانز راد، هذا التوجيه في العبارة التالية : (كل اليهود خارج أوروبا !) . وكان يتوقع لتحقيق (الحل النهائي) فترة أربع سنوات وإمكانيات ضخمة.

ب-خطاب جورنج إلى هيدريش في ٣١يوليه ١٩٤١. طلب هيدريش من جورنج: (في ١٩٣٩ ، أعطيتنى الأمر باتخاذ التدابير المتعلقة بالمسألة اليهودية. فهل على الآن مد هذه المهمة التى أسندتموها إلى لتشمل الأزاضى الجديدة التى استولينا عليها في روسيا... وهنا كذلك، لاشىءبخصوص قتل اليهود. والأمر لا يتعلق إلا بنقلهم جغرافيا، وذلك وببساطة لمراعاة الظروف الجديدة. فالحل النهائى إذن كان يكمن في تفريغ أوروبا من اليهود والإمعان في إقصائهم بعيدا حتى تسمح الحرب بوضعهم داخل جيتو خارج أوروبا (كمشروع مدغشقر). وافتراض لغة سرية وشفرية ، هو افتراض بلا سند، لأن هناك وثائق واضحة للجرائم الأخرى، ومنها الموت الرحيم، وأمر قتل الكوماندوز البريطانيين، وسحل الطيارين الأمريكيين في الشوارع دون محاكمة، وإبادة أهالى ستالينجراد من الذكور عقب احتلالها . وعن هذه الجرائم جميعها، فالوثائق موجودة، في حين أنه بالنسبة لهذه الجريمة لا توجد لا الأصول ولا الصور، ولا الأوامر أو التوجيهات اللازمة لتنفيذ هذه التعليمات الضخمة. (في يناير 1942، أبلغ رينهارد هيدزيش ، رئيس الجستابو، زعماء برلين أن الفوهرر قد قرر إجلاء كل اليهود نحو الأراضى الشرقية، مستبدلا بذلك عملية الإبعاد السابقة). وفي المذكرة التى عممت في مارس ١٩٤٢ داخل مكتب هيدريش، أبلغ الوزراء أن يهود أوروبا سيجرى تجميعهم في الشرق (انتظارا لإرسالهم بعد الحرب إلى أراض نائية، مثل مدغشقر، لكى تصبح وطنهم القومى. .) ويذكر بولياكوف : (

وكان مشروع مدغشقر وحتى التخلى عنه، هو الذى كان يطلق عليه الزعماء الألمان اسم(الحل انهائي) للمسألة اليهودية.
.(المصدر : بولياكوف، محكمة القدس، باريس، ١٩٦٣ ، ص-١٥٢).
ومن أجل الابقاء على نظرية الإبادة الجسدية بأى ثمن، تطلب الأمر إيجاد ذريعة : (لقد كانت عبارة الحل النهائى للمشكلة اليهودية من العبارات التقليدية للإشارة إلى الخطة الهتلرية الرامية إلى إبادة اليهود الأوربيين).
(المصدرجيرالد ريتلينجر، الحل النهائي، ص ١٩).
وليس هناك ما يبرر افتراض هذه اللغة الشفرية التى كانت تسمح لأى وثيقة بأن تفصح عما نريد أن نقوله. وهاك مثالان على ذلك:
الأول : خطاب جورنج المؤرخ في ٣١ يوليه ١٩٤١، والذى يستكمل فيه جورنج تعليماته إلى هيدريشن : . استكمالا للمهمة التى أسندت إليكم بتاريخ ٢٤ -١-١٩٣٩، أكلفكم بأن تعرضوا على وبسرعة مشروعا إجماليا يتناول الإجراءات التنظيمية والتدابير الملموسة والمادية لتحقيق الحل النهائى الذى نتطلع إليه للمسألة اليهودية في منطقة النفوذ الألمانى في أوروبا،.
(المصدر: هيليرج، المرجع السابق، ص-401(الطبعة الثانية) .
وبإيجاز فإن تعليمات جورنج إلى هيدريش لاتعدو أن تكون سوى تطبيق ما كان يطبق في ألمانيا على أوروبا نظرا للظروف التى استجدت. ما لم تفسر تفسيرا تعسفيا طبقا لمخطط مسبق. والهدف في حد ذاته هو دون شك هدف غير إنسانى وإجرامى، ولكنه لايشير في أى لحظة إلى فكرة (الإبادة) التى ألصقها له المدعى العام في نورمبرج روبرت كمبنر عندما أعلن: (بهذه السطور، كلف هيدريش وأعوانه رسميا بالقتل القانونى (لليهود)) . وقداعترض جورنج على الترجمة الإنجليزية للعبارة الألمانية (الحل الشامل) بعبارة (الحل النهائى) ، مما حدى بالمدعى العام جاكسون أن يعترف بالتزوير، وإرجاع العبارة إلى أصلها الحقيقى. وهذه الواقعة التى دمرت نظرية بأكملها، لم

تتحدث عنها الصحافة بكلمة واحدة. وفي ١. فبراير ١٩٤٢ ، كتب مسئول وزارة الخارجية الألمانية رادماخير، في رسالة رسمية يقول: ه لقد أتاحت لنا الحرب ضد الاتحاد السوفيتى الحصول على أراض جديدة للحل النهائى. وعلى ذلك، فقد قرر الفوهرر نقل اليهود نحو الشرق لا نحو مدغشقر. ومن ثم، لم تعد هناك حاجة لاختيارمدغشقرللحل النهائى).

(المصدر: ريتلنجر، الحل النهائى، ص-٤٧٩.)

والمثال الثانى على هذا التعبير التعسفى لمعانى الكلمات لتبرير قضية ما، هو الخاص بمؤتمر وانسى الكبير، الذى انعقد في برلين في ٢.يناير.١٩٤٢ ومنذ بداية المؤتمر، لم ينفك هيدريش يذكر بأنه قد تم تعينه في (منصب المسئول المكلف بإعداد الحل النهائى للمسألة اليهودية في أوروبا) وبأنه (سيكون من الآن فصاعدا المسئول عن مجموع الاجراءات اللازمة للحل النهائى للمسالة اليهودية دون اعتبار للحدود الجغرافية. ويلخص هيدريش بعد ذلك السياسة المعادية لليهود التى تمت حتى ذلك التاريخ في الآتي:

أ- طرد اليهود بعيدا عن الدوائر الحيوية للشعب الألمانى.

ب- طود اليهود خارج الحيز الحيوى للشعب الألمانى.

نص مؤتمر وافسى (٢.يناير١٩٤٢)

(أثناء الحل النهائى سيسير اليهود تحت إدارة مناسبة نحو الشرق للاستفادة بهم في العمل. وسيتم التفريق بينهم بحسب الجنس. وسيرحل اليهود القادرون على العمل في طوابير ضخمة إلى مناطق الأعمال الكبرى لبناء الطرق، ولا شك أن عددا كبيرا منهم سيموت بواسطة الانتقاء الطبيعى - ومن سيظل منهم على قيد الحياة في نهاية المطاف، فإنهم سيشكلون دون أدنى شك العنصر الأقوى وينبغى معاملتهم طبقا لذلك لأنهم يمثلون الانتقاء الطبيعى ، ينبغى اعتبار تحريرهم بمثابة الخلية المولدة للتطوير اليهودى الجديد. (كما توضجه تجارب التاريخ. . .) . ويعد بروتوكول وانسى بمثابة

المحضر الحرفى للمؤتمر الذى عقد في الفترة من ٢. يناير ١٩٤٢، واشترك فيه الوزراء المهتمون إداريا بحل المسألة اليهودية ورؤساء الإدارات المكلفة بالتنفيذ.، ويتعلق الأمر بنص لم ترد فيه أبدا عبارة غرف الغاز أو الإبادة، ولكن نقل اليهود فقط إلى الشرق الأوروبى. وهذا المحضر له كل خصائص الوثيقة المزورة والمزيفة إذا ما رجعنا إلى صورته التى نشرت في كتاب السيد روبرت كمبنر، فلا خاتم ولا تاريخ ولا توقيع، والحروف كتبت على آلة كاتبة عادية وعلى ورق من القطع الصغير. وعلى كل حال، فلا يوجد بها أي إشارة !لى غرف االغاز. وفضلا عن ذلك، فإن مؤتمر وانسى المنعقد في ٢. يناير ١٩٤٢، والذى ادعى طوال أكثر من ثلث قرن أن قرار (إبادة) يهود أوروبا قد اتخذ أثناء انعقاده، اختفى تماما من أدبيات أشد أعداء المطالبين بمراجعة التاريخ مند عام ١٩٨٤ . فقد تخلوا صراحة عن هذا التفسير وراجعوا تاريخهم حول هذه النقطة أثناءانعقاد مؤتمر شتوجارت في مايو.١٩٨٤

(المصدر: إيراهارد جيكل ويورجون روهور، قتل اليهود أثناء الحرب العالمية الثانية،١٩٨٥،ص-٦٧.)

وقد وصف ياهودا بور في جريدة أخبار اليهود الكندين الصادرة في٣. يناير١٩٩٢، أن تفسير وانسى كان (تفسيرا أحمق). وأشار أحد المؤرخين المتشددين وهو جان كلود بريساك إلى أن عبارة (الابادة (قد نقحت وصارت طردا) . وبخصوص أن مسألة . الحل النهائى، للمشكلة اليهودية وإنها لن تحل إلا بعد الحرب، فإن . الملف البنى) لصيف عام ١٩٤١ يشهد على ذلك. فقد جاء في الفقرة المعنونة (تعليمات لحل المسألة اليهودية) ما يلى : . لا يجب أن تتخذ أى إجراءات بشأن المسألة اليهودية في الأراضى المحتلة في الشرق إلا بعد الحرب، وستجد المسألة اليهودية في أوروبا حلا عاما) .

(المصدر: هنرى موذى، اضطهاد اليهود في البلدان الشرقية، ١٩٤٩ .)

ولقد كان هتلر في السنتين الأخيرتين للحرب وبعد ستالينجراد، في وضع ميئوس منه، فالحلفاء يدمرون مراكز الإنتاج الحربى بقصفهم لها، ويحطمون طرق المواصلات. واضطر إلى حشد أعداد أخرى للعمل بالمصانع. فكان يعمل في مونوفيتز بالقرب من أوشفيتز ١.... معتقل، و ١..... عامل مدنى،١... سجين حرب بريطانى. وفي ٢٥ يناير ١٩٤٢، وجه هيملر تعليماته إلى المفتش العام لمعسكرات الاعتقال، جاء فيها : (استعد لاستقبال ١..... يهودى .. . وستسند مهام اقتصادية كبيرة إلى معسكرات الاعتقال في الأسابيع القادمة،. وفي مايو ١٩٤، ، أمر هتلر باستخدام ٢..... يهودى كعمال في البرنامج الإنشائى (جاجر) ومنظمة تودت. فصدر أمر فى ١٨ نوفبر١٩٤٣ . تمنح بمقتضاه علاوة للمعتقلين - حتى اليهود منهم - الذين يبرزون في العمل. (المصدر: متحف أوشفيتز، ١٩٦٢ص-٧٨).

ولا يتعلق الأمر هنا بالجنون أو الخرافة، بل على العكس بواقعية مريرة وقاسية . ولكن هذا وفي المقام الأول يشكل دحضا إضافيا لأطروحات (الإبادة).

ب- الشهادات

اثناء محاكمة أوشفيتز التى جرت فى فرانكفورت في الفترة من 20 ديسمبر ١٩٦٣ وحتى ٢. أغسطس ١٩٦٥، داخل مسرح كبير واسع، وهو ما يليق بعملية سياسية مثيرة، ورغم هذا الإخراج القضائى فإن محكمة الجنايات لم تستطع تفادى الاعتراف بأنها لا تملك سوى عناصر واهية لدعم حكمها. كان ينقص المحكمة معظم وسائل المعلومات تقريبا التى توضع عادة تحت تصرف محاكمة جنائية عادية حتى يتسنى تشكيل صورة أمينة للوقائع كما حدثت فعلا أثناء الجريمة. فكان ينقصها جثث الضحايا، وتقارير التشريح، واستنتاجات الخبراء بشأن أسباب الوفاة، وكان ينقصها الآثار التى تركها المتهمون، وسلاح الجريمة، . . إلخ ولم يتم التحقق من الشهادات إلا في حالات نادرة).

(المصدر: الصفحة ١.٩ من حيثيات الحكم)

وسلاح الجريمة كان مع ذلك، وطبقا للمدعين هى (غرف الغاز) ، وهاهم القضاة لا يجدون لها (أثرا) 1. ولكن كان يكفى أن يكون الأمر معروفا للكافة حتى لا يشكك فيه أى إنسان وإلا ذهب هو نفسه إلى الجحيم. وحتى عام ١٧٥٧، كان من المعروف للكافة أن الشمس تدور حول الأرض. . وكانت هذه حقيقة ثابتة. وكتب أحد القانونيين الأمريكان الذين أرسلوا إلى (داخاو) بعد أن أصبح معسكرا أمريكيا ومركزا للمحاكمات ضد جرائم الحرب ، يقول: لقد عشت في داخاو طوال ١ ٧ شهرا بعد الحرب كقاضى عسكرى للولايات المتحدة، وأستطيع أن أشهد أنه لم يكن هناك أى غرف للغاز. وما يعرض على الزوار يقدم بطريقة خاطئة على أنه غرفة للغاز، مع أنه محرقة لجثث الموتى (ولم يكن هناك أى غرف للغاز في ألمانيا. ويقولون لنا إنه كان في أوشفيتز غرف للغاز، ولكننا لم نحصل على إذن من السلطات الروسية التى كانت تشرف على هذه المنطقة، لزيارتها. . كما أنهم يستخدمون الأسطورة القديمة للدعاية بأن ملايين اليهود

قد قتلوا. وأستطيع أن ؤأكد بعد ٦ سنوات على انتهاء الحرب في ألمانيا والنمسا، أنه كان هناك الكثيرمن اليهود الذين قتلوا، ولكن رقم المليون لم يتم بلوغه أبدا، وأعتقد أننى مؤهل أكثر من غيرى للحديث عن هذا الموضوع" .
(المصدر: ستيفن بنتر، جريدة زائر الأحد، ١٤ يونيه ١٩٥٩ ، ص ١٥.),
ونظرا لانعدام أى دلائل خطية، ووثائق لايرقي إليها لشك، فإن محكمة نورمبرج قد قامت على (شهادات) إن الفارين الذين شهدوا على وجود غرف الغاز قاموا بذلك ليس على أساس ما شاهدوه ، ولكن على أساس ما سمعوه. والشاهد الرئيسى الذي جىء به (لإثبات) نظرية المنتصرين المرتدين لباس القضاة، كان رودولف هيس، قائد معسكر أوشفيتز. وكان الموجز الذى أدلى به عند إلقاء الإلقبض عليه، والذي قامت عليه اعترافاته في نورمبرج، يستجيب تماما لما كانت تنتظره منه المحكمة. وهاك اعترافه الذى أدلى به بعد حلف اليمين ووقع عليه رودولف هيس في 5 ابريل ١٩٤٦ : (توليت قيادة أوسفيتز حتى أول ديسمبر ١٩٤٣، وأعتقد أن ٢٥..... ضحية قد أعدموا أو أبيدوا بالغاز أو الحرق، وأن نصف مليون آخرين قد ماتوا من الجوع أو المرض، وبهذا يصل عدد القتلى اى نحو ٣...... ،وكان الحل النهاش للسالة اليهودية يعنى ابادة كل يهود أوروبا، وقدتسلمت أمر إعداد الإبادة في أوشفيتز في يونيه ١٩٤١. وفي ذلك الوقت كان هناك ثلاثة معسكرات أخرى للإبادة في الحكومة العامة هى : بلزيك، وتربلينكا، وولزيك) . فكيف بالله تم تسجبل هذه (الشهادة الهامة) دون التحقق منها مسبقا؟ ويشرح هيس نفسه ذلك قائلا: كتبت الاعترافات الأولى تحت إشراف السلطات البولندية التى اعتقلتنى. وفي كتاب السيرة الذاتية لرودولف هيس جاء ما يلى : (أثناء استجوابى الأول، انتزعت الاعترافات منى بضربى. ولا أعرف ما فى هذا التقرير رغم أننى قد وقعت عليه). ولم تتأكد عمليات التعذيب التى تعرض

لها هيس للحصول على (أدلة) إلا في عام ١٩٨٣ ،عندما كتب روبرت بتلركتابه عن (فيالق الموت) ، والذى جاء فيه: (لدى إلقاءالقبض عليه، ضرب ضربا مبرحا إلى درجة أن ضابط الصحة تدخل بإلحاح لدى الكابتن قائلا له : قل له أن يوقف هذا الضرب وإلا فإننا لن نحصل إلا على جثة هامدة!).

محاكمة أوشفيتز

إن مصير المتهم الرئيسى وهوآخر قائد لمعسكر أوشفيتز، ريتشارد باير، الذى توفى قبل بدء المحاكمة، جدير بالاهتمام، فقد تم توقيفه في ديسمبر ١٩٦. بالقرب من هامبورج حيث كان يعمل ويعيش. وفي يونيه ١٩٦٣ مات في السجن في ظروف غامضة. وطبقا لمصادر عديدة. رفض باير بعناد إثبات وجود غرف الغاز في القطاع الذى كان يشرف عليه. ويقرر محامى نورمبرج، ابرهارد انجلهاردت إن باير قد دس له السم أثناء التحقيق.

والمثال الثانى: تقرير جرشتين، أحد ضباط النازى وهو التقرير الذي رفضت محكمة نورمبرج العسكرية الأخذ به كدليل في جلسة ٣. يناير ١٩٤٦ لعدم جديته وما جاء فيه من تضليل، والذى استخدمه جزئياً النائب العام الفرنسى ديبوست، ثم استخدم بعد ذلك أثناء محاكمة إيخمان في القدس في ١٩٦١) وطبقا لهذا (الشاهد) فإن عدد الضحايا بلغ 25 مليونا من الضحايا !(٦.... يوميا في المعسكرات الثلاثة بيلزيك وتريبلينكا وسوبيبور). ورأى فضلا عن ذلك من ٧.. إلى ٨.. شخص مكدسين وقوفا في غرفة مساحتها ٢٥ مترا مربعا (أى أكثر من ٢٨ فى المتر المربع) والمثال الثالث: وكيما نتمسك بالشهود المشهورين، نذكر الدكتور ميكلوسنيسزلى، الطبيب المجرى، الذى اعتقل في أوشغتيز، وهو يقول عن غرف الغاز إن طولها 200 م، بينما الوثيقة المقدمة لمحكمة نورمبرج تقول إن مساحاتها كانت ١٢.م٢ أو٤..م٢ أو٥٨. م٢، أى٢١,٥م أو٢,٩.م. وهو يؤكد كذلك أنه عند وصوله إلى المعسكر في أواخر مايو ١٩٤٤، كانت الإبادة

بالغاز قد دامت منذ أربع سنوات، مع أن وثيقة نورمبرج رقم ٤٤.١ تشير إلى أن طلبات المحارق جرت في أغسطس ١٩٤٢ ، والوثيقة ٤٤٦٣ تقول إنها لم تكن جاهزة إلا في٢. فبراير١٩٤٣. وفي أغسطس ١٩٦.، أعلن معهد التاريخ المعاصر فى ميونخ للصحافة ما يلى: (لم تستكمل غرف الغاز في داخاو ولم توضع موضع التنفيذ أبدا . . . وإن الإبادات الجماعية لليهود بالغاز بدأت في ١٩٤١-١٩٤٢ وفي مناطق محدودة من بولندا المحتلة فقط، وليس ألمانيا بأى حال من الأحوال،.

(المصدر: دىزيت، ١٩ اغسطس ١٩٦..)

أمثلة أخرى

قال سوكل (أحد المتهمين الرئيسيين) في جلسة 30 مايو ١٩٤٦ لمحكمة نورمببج ما يلى: (أقر بأن توقيعى يظهر في هذه الوثيقة. وأطلب من المحكمة السماح لى بأن أشرح كيفية الحصول على هذا التوقيع. لقد قدمت هذه الوثيقة إلى في شكلها النهائى فطلبت الإذن بقراءتها ودراستها حتى أقررما إذا كان على أن أوقعها. ولكن رفض طلبى. . . ثم دخل أحد رجال البوليس البولنديين أو الروس وقال: (أين أسرة سوكل؟ سنأخذ سوكل معنا، أما الأسرة فستسلم في الأراضى الروسية) . وأنا والد 10 أطفال، ففكرت في أسرتى ووقعت على الوثيقة)

ومن بين شهادات مجرمى الحرب، فإن شهادة الجنرال أوهلندورف تعتبر من الشهادات المعبرة بشكل خاص . فقد كان يدير الجماعات المكلفة بإعدام المفوضين السياسيين في جنوب روسيا، وأعلن أثناء المحاكمة الدولية العسكرية أنه قد تلقى أوامر شفوية لكى يضيف إلى وظائفه وظيفة إبادة اليهود باستخدام الشاحنات المجهزة بمعدات الموت، بما فى ذلك النساء والأطفال. وجاءت شهادته في المحاكمة الثانية مختلفة تماما، وتراجع عن تصريحاته السابقة، واعترف بأنه قتل عددا من اليهود والغجر ولكن في إطار المعركة ضد العدو، وليس بموجب خطة محددة لإبادة اليهود والغجر، كما اعترف بأنه قتل

٤.... شخص وليس 90000 كما قال في السابق. ولم ينبس المؤرخون النقاد بكلمة واحدة لدحض هذه الأقاويل، ولم تصدر عنهم أية مناقشة علمية معارضة، ولكن فرض عليهم الصمت والاضطهاد. وطالما استمر هذا الاضطهاد وهذا القمع تجاه البحوث الانتقادية، وتواصل على العكس تدفق التمويل الوافر والإشادة الإعلامية بالمدافعين عن هذه المحرمات، فلن ينمحى الشك والارتياب من ذاكرتى. ولقد مررت بهذه التجربة منذ ١٤ عاما، ومنذ محاكمة ١٩٨٢ التى رفعتها ضدى (ليكرا) لأننى أدرجت حرب لبنان في إطار منطق الصهيونية السياسية ، ورغم أن الدعوى قد رفضت وحكم على (ليكرا) بالمصاريف في محكمة الدرجة الأولى وفي محكمة النقض. فقد اضطر ناشر كتابى (الشأن الإسرائيلى) الذى صدر عن دار نشر بابيريس فى ١٩٨٣ ، إلى إعلان إفلاسه فورا.كما لم يجر توزيع كتابى (فلسطين أرض الرسالات الإلهية) الذى أصدرته دار نشر الباتيروس في باريس عام ١٩٨٦ ، توزيعا عاديا. فالمكتبات التى عرضته تلقت تهديدات بتحطيم واجهاتها. وعادت معظم النسخ إلى الناشر، واختفى توزيعه تماما. وحتى هذا الكتاب (الأساطير المؤسسة للسياسة الإسرائيلية) فلن يسلم من الحملة المسعورة للصحافة الفرنسية، ولذلك سأضطرإلى نشره على نفقتى الخاصة في فرنسا، مع أن هذا الكتاب قد ترجم ويجرى نشره في إيطاليا وألمانيا وتركيا والولايات المتحدة وحتى روسيا. فهذا الصمت وهذا الاضطهاد، وعمليات القمع ضد التاريخ الانتقادى للجرائم الهتلرية ترتكزعلى حجج مشينة وكاذبة، وهى تدليل على أن الجرائم الضخمة التى ارتكبها هتلر حيال اليهود، وحيال كل أعدائه من الشيوعيين الألمان أو السلاف، ولم تكن تحتاج إلى أى أكذوبة للكشف عن فظاعتها، وأن الحديث عنها انتقاديا إنما هو في نظر أعداء التاريخ الانتقادى بمثابة تبرئة هتلر أو التخفيف من حدة جرائمه! . فالتدليل على أن جرائم النازى لم تقتصر إلا على اليهود

وحدهم وأنها خلفت عشرات الملاين من القتلى في الكفاح ضد الفاشية، هو (عنصرية) شجع على التميز والحقد العنصرين ! ولمقاومة ظاهرة الحقد ضد الباحثين الانتقاديين، فإننا اليوم نسعى إلى إضافة عناصر جديدة بمصادرها ومراجعها إلى هذا الملف.على أمل أن تؤدى إلى قيام مناقشة صريحة حول الوقائع الموضوعية لهذا الماضى دون دفعهم مسبقا بالتحيز أو إجبارهم على الصمت. ولا يمكن الإعداد للمستقبل مع مواصلة مشاعر الحقد وتغذيتها بالأكاذيب. ونقد الشهادات المحققة تاريخيا والدراسات العلمية التى تسمح بمنح الرأى العام إمكانية التفكير في جرائم الأمس للحيلولة دون حدوثها غدا، هو التزام أخلاقى بقدر ما هو التزام علمى. وحتى الآن، لم يقدم حتى للفنانين الكبارمن ذوى النوايا الطيبة، إلا الأرقام التعسفية والخاطئة. وكم شاهدنا من الأفلام الرائعة التى شوهت بذكر الرقم التعسفى للضحايا اليهود في اوشفيتزا. وفي مقابل ذلك، ما شهدناه من الأفلام بعد التحرير التى تشيد بمن حاربوا ضد النازى، مثل (المعركة ضد الماء الثقيل) الذى يعالج الاكتشاف الحاسم لجوليو كورى وفريق عمله لاستخراج المياه الثقيلة في النرويج لمنع وصولها إلى هتلر حتى لا تتاح له فرصة استخدامها في صنع القنبلة الذرية. ونفس الشىء بالنسبة لفيلم (معركة السكك الحديدية) الذى يوضح الكيفية التى خرب بها عمال السكك الحديدية طرق المواصلات الألمانية لشل حركة تجميع الجيوش الألمانية الغازية. وعلى النقيض من هذه الأفلام، فكم من مرة أعادوا علينا كل أسبوع عرض أفلام مثل(الخروج) و(الهولوكوست) و(الإبادة)، وغيرها من الشرائط المرواة برومانسية تفيض لهاالدموع . وفيلم الهولوكوست هذا هو أكبر فيلم ساهم فى التلاعب بالرأى العام العالمى والسيطرة عليه، وهو ما يعتبر جريمة ضد الحقيقة التاريخية!. (المصدر: لبيراسيون،٧مارس١٩٧٩.)

وساهمت الرواية في هذا الخداع والمخاتلة. وصدرت مؤلفات مثل (أيام موتنا) لدايفيد روسيه، الذى جمع فيه بأسلوب روائى بارع كل ما هو مبتذل وتافه لتشكيل قالب أدبيات معسكرات الاعتقال. وحتى مارتن جراى، في كتابه(باسم كل أبناء جلدتى)والذى استعان في كتابته بأحد الكتاب الفرنسيين الكبار لوصف معسكر لم تطأه قدماه أبدا. وابتداء من المحفوظات المزيفة لوزارة قدماء المحاربين التى (اكتشفها) سيرج كلارسفيلد، وحتى الرؤيا القيامية الخاطئة لإيلى فينزل (الحائز على جائزة نوبل) الذى يقول إنه (رأى بعينه) لهبا ضخما يصعد من حفرة في الهواء الطلق (حيث كانوا يلقون فيها بصغار الأطفال) .
(المصدر: إيلى فينزل، أقوال أجنبى، باريس١٩٨٢، ص-١٩٢).
وذروة هذه الأدبيات الرومانسية ، هو كتاب (يوميات آن فرانك) الذى حقق أحسن المبيعات عالميا، (وآن فرانك فتاة يهودية كانت معتقلة في أحد المعسكرات) . وفى هذا الكتاب المؤثر تحل الرواية محل الواقع ، ومرة أخرى تخفت الأسطورة في ثياب التاريخ. -! ويقول المؤرخ الإنجليزى دافيدا رفنج عن هذا الكتاب : (لقد وافق والد آن فرانك أخيرا والذى راسلته عدة سنوات، على إخضاع أصول كتاب (اليوميات) للفحص المعملى وهو ما أطالب به دائما عندما يكون هناك اعتراض على وثيقة ما. وكان المعمل الذى فحصت فيه أصول الكتاب هومعمل البوليس الجنائى الألمانى في فيسبادن. وكانت النتيجة التى توصل إليها المعمل هى أن جزءا من يوميات آن فرانك كتب بقلم جاف (وهذا النوع من الأقلام لم ينزل الأسواق إلا في عام ١٩٥١، في حين أن آن فرانك قد توفيت في عام 1945). ويستطرد دافيدارفنج : وكان استنتاجى بشأن يوميات آن فرانك، هو الجزء الأكبر منه كتبته حقيقة فتاة يهودية في العاشرة من عمرها. وتولى أباها أوتو فرانك أمر هذه النصوص بعد موت ابنته المأساوى من جراء التيفوس داخل معسكر

الاعتقال. وقد قام الأب وأشخاص آخرون لا أعرفهم يتصحيح (اليوميات، لإعطائها شكلآ صالحا للبيع لإثراء الوالد ومؤسسة آن فرانك في آن واحد. أما أنه وثيقة تاريخية، فهذا الكتاب ليس له أية قيمة لأن النص قد شوه وحرف) . وهذه البضاعة الإبادية لا تسخدم إلا شهادات تشير بطرق مختلفة إلى قتل الضحايا بالغاز، دون أن يوضحوا لنا أبدا طريقة تشغيل غرفة غاز واحدة (وإلذى أثبت لوختر استحالة ذلك ماديا وكيميائياً)، أو شاحنة واحدة من تلك الشاحنات التى استخدمت بطريقة انبعاث الديزل منها، كغرف غاز متنقلة.

ج- سلاح الجريمة:

لو انطلقنا من وجهة النظر الموضوعية المفروضة في محاكمة جنائية، فسيكون من الأهمية بمكان سماع أقوال الخبراء بشأن عدد كبيرمن الأسئله، حتى ولمجرد تكوين فكرة بخصوص مصداقية عدد كبير من الشهود وكذلك بعض من (الوثائق) .
ونستأذن في طرح عدد من هذه الأسئلة:
- كم من الوقت يجب أن يمر حتى يتفاعل الغاز زيكلون ب، وماهى الكيفية التى كانت تظهر بها آثاره؟
- كم من الوقت يظل الغاز فعالاً ونشطا في مكان مغلق (سواء بدون تهوية، أو بتهوية لاحقة للاستعمال مباشرة)؟
- هل كان من الممكن كما يؤكدون، الدخول دون كمماة إلى المواقع المشبعة بغاز زيكلون ب، بعد نصف ساعة فقط من استخدام هذا الغاز؟
- هل كان من الممكن حرق الجثث بالكامل في ٢٠ دقيقة داخل محرقة؟
- هل كانت المحارق تستطيع أن تعمل ليل نهار دون توقف؟ .
- هل من الممكن حرق جثث بشرية في حفر عمقها عدة أمتار، وفي حالة الإثبات، في كم من الوقت؟
ولكن وحتى الآن لم تصدر أى وثيقة إثبات. ونطرح هنا مثالين اثنين:
المثال الخاص (بغرف الغاز المتنقلة) بواسطة الشاحنات.
والآخر خاص بالصابون المصنوع من الدهن البشرى. (وأكذوبة استعماله بالفعل أثناء الحرب العالمية الأولى).
(المصدر: الديلى تلجراف، لندن، ٢٢مارس١٩٤٦، ص-٥.)
وقد انتشرت قصة عمليات الإبادة (بغرف الغاز المتنقلة) والمؤلفة من الشاحنات التى ابيد فيها آلاف الناس بتوجيه مخارج الديزل نحو الداخل، ولأول مرة لدى الرأى العام الغربى، عندما صدرت في جريدة النيويورك تايمز بتاريخ ١٦ يوليه ١٩٤٣، الصفحة السابعة. (وحتى ذلك الحين لم يتناول هذا الموضوع

سوى الصحافة السوفيتية) . وهنا أيضا، فإن سلاح الجريمة (وهو مئات أو آلاف الشاحنات المجهزة لعمليات القتل هذه) قد اختفى. ولم تظهر واحدة منها في أى محاكمة كدليل إثبات. ويلاحظ كذلك أن خطة (الإبادة) كان مقدراً لها أن تظل سرا مطلقا كما قال هيس، فمن الغريب أن يعلم به آلاف سائقى الشاحنات وأعوانهم الذين تسلموا الضحايا (دون أمر رسمى) وأخفوها بطريقة سحرية مع احتفاظهم بهذا (السر الفظيع). وروج فيزنتال لخرافة (الصابون البشرى) في مقالاته المنشورة عام ١٩٤٦ في جريدة الطائفة اليهودية النمساوية درنيوفنج (الطريق الجديد)، كتب يقول: لقد سمعت العبارات المخيفة (النقل من أجل الصابون) لأول مرة في أواخر عام ١٩٤٢. وقد تم هذا في الحكومة العامة (لبولندا) وفي المصنع الذى كان كائنا في جليسى ، في بلزيك. ومن أبريل ١٩٤٢ وحتى مايو١٩٤٣، استخدم ٩..... يهودى كمواد أولية في هذا المصنع) . وأضاف أنه بعد تحويل الجثث إلى موادها الأولية، استخدمت البقايا الدهنية لإنتاج الصابون) . ثم قال : ولا يمكن للعلم المتمدن أن يتصور سرور النازى لهذا الصابون وفرحة زوجاتهم به، هذاالصابون يحمل الحروف RIE وهو رمزعلى (مكتب الرايخ للتموين بالمواد الدهنية) وقرأ البعض هذا الرمز خطأ على أنه RTF ، أى (دهن يهودى صافى) وبعد ذلك انتشرت الاشاعة كالريح. وتوجد ثلاث وثائق قد تسمح لو نوقشت بجدية وعلنا، بوضع حد للجدل بشأن (غرف الغاز) وهى : (تقرير لوشتر)(٥ أبريل ١٩٨٨)، ومعاينة كراكوفى المضادة بتاريخ ٢٤ سبتمر ١٩٩٠، ووثيقة جرمار رودولف (١٩٩٤)، لأنها هى الوحيدة التى تكشف عن نهج علمى وموضوعى، وتتضمن تحليل العينات المأخوذة على الموقع، مما يتيح التحليل الكيميائى . والزيكلون ب، المصنوع من حامض السيانيدر، هو الذى زعم أنه. . قتل عددا كبيرا من المعتقلين بالغاز. وهو عادة ما يستخدم لتطهير الملابس أو الأدوات التى يخشى منها أن تنشر الأوبئة، ولا سيما

التيفوس، وقد استخدم ابتداء من الحرب العالمية الأولى لأول مرة، ولكنه استعمل بعد ذلك لتنفيذ الاعدام في أحد المحكوم عليهم بالإعدام في أريزونا عام ١٩٢..ثم استخدمته ولايات أمريكية أخرى لنفس الغرض، ولا سيما في كاليفورنيا وكولورادو والماريلاند والمسيسيبى، وميسورى، ونيفادا، ونيومكسيكو، وكارولينا الشمالية.
(المصدر: تقرير لوشتر (رقم ٤ ٩..).
وقد عمل المهندس لوشتر كخبير استشارى لولايات ميسورى وكاليفورنيا وكارولينا الشمالية. وقد تخلت ولايات كثيرة اليوم عن هذا النمط من الاعدام بسبب تكلفته الباهظة ليس فحسب بالنسبة لغاز السيانيدر، ولكن بالنسبة أيضا لمواد تصنيعه وصيانته التى تستلزم إجراءات أمنية لاستخدامه، مما جعله أغلى طريقة للإعدام. وبعد أن قام لوشتر بزيارة واختبار عينات (غرف الغاز) المزعومة في أوشفيتز-بيركيناو وغيره من معسكرات الشرق، توصل إلى الاستنتاجات التالية : (إن الفحص العينى للمنشات تشير إلى أن تصميمها كان رديئاً للغاية وخطرا إذا ما استخدمت كغرف للإعدام) وخلص لوشتر إلى أن أى من الشروط لم تستوف للقول بأنها غرف الغاز القاتلة. وكان أى إنسان يعمل فيها سيعرض نفسه للخطر، وبعد أن استعرض جميع المواد الوثائقية وفحص جميع الأماكن في أوشفيتز، وبركيناو، وماجدانك، وجد أن البراهين دامغة : فلم توجد في أى من هذه الأماكن غرف غاز قاتل).
(المصدر : تقرير لوشتر، ماساتشوست، ٥ أبريل ١٩٨٨). وفي أثناء محاكمة تورنتو، كشف المحامى كريستى كم كانت الشهادات (تتعارض مع حقيقة الإمكانيات الكيميائية والتقنية. وكما توضح العينات والمعاينة التى قام بها لوشتر فإن آثار حامض السيانيدر في الزيكلون ب، كانت أهم بكثير في القاعات التى تأكد أنها كانت مخصصة للتطهير، عنها في القاعات المزعوم أنها كانت (غرف للغاز).

(المصدر : المرجع السابق.)
وهذه النتيجة أكدتها جزئياً المعاينة المضادة لكراكوفى التى أجراها معهد معاينات الطب الشرعى في كراكوفى بتاريخ ٢. فيراير وحتى ١٨ يوليه ١٩٩.، والتى أبلغت نتائجها للمتحف بالخطاب المؤرخ في ٢٤سبتمبر١٩٩.. هذا وقد فحص لوشتر الأماكن التى استخدمها النازى وفقا للخرائط الرسمية لبيكركيناو، كمقابر للحرق (للتخلص من الجثث . وشدد على أنه من المستحيل حرق الأجسام تحت الماء لأن أوشفتيز وبيركيناو بنيتا على مستنقعات. أما ألبوم أوشفيتز وهو يضم١٨٩ صورة أخدت من المعسكر نفسه في ذلك العهد، والذى قدم له سيرج كلاسفلد، تظهر١٨٩ منظرا للحياة في معسكرات الاعتقال لدى وصول قافلة من المعتقلين القادمين من المجر. وليس فيه أى شيء يثبت الابادة الجماعية والمنظمة، بل على العكس فإنها تستبعد مثل هذه الإبادة.
(المصدر : البوم أوثفيتز، باريس، ١٩٨٣).
ويبدو أن الكندى جون بول، خبيرتفسير الصور الجوية، هو الذى جمع أكبر قدر من المستندات التصويرية الأصلية وأجرى بكفاءة تحليلاً صارما لها. وجاءت استنتاجاته متعارضة تماما مع التاريخ الرسمى.
(المصدر: القرائن التصويرية الجوية، كندا، ١٩٩٢ .)
ولا يمكن لكتاب بريساك المعنون . محارق أوشفيتز) الذى لا يخصص سوى فصل واحد من٢. صفحة لغرف الغاز، والذى لا يشير إطلاقا إلى تقرير لوشتر، أن يوازن أويعادل تحليلات لوشتر. وطالما لم تجر بين خبراء من ذوى الكفاءات المتساوية، مناقشة علمية وعلنية بشأن المهندس فرد لوشتر، وبشأن معاينة كراكوفى المضادة، التى جرت في ١٩٩. بناء على طلب من سلطات متحف أوشغيتز، وطالما أن مجموع أوراق النقاش حول . غرف الغاز) لن يخضع لمناقشة حرة، فإن الشك سيظل قائما بل والريبة. وحتى هذه اللحظة ، فإن الحجج الوحيدة التى

استخدمت حيال الرافضين للتاريخ الرسمى، كانت هى الامتناع عن المناقشة، والاغتيال، والرقابة والاضطهاد.

أسطورة الستة ملايين

(الهولوكوست)

- الابادة الجماعية: هى الابادة المنظمة لمجموعة عرقية بالقضاء على أفرادها).
قموس لاروس
(وعلى غرارالوعد الالهى الوارد في التوراة، فإن الابادة الجماعية هى عنصر من عناصر التبرير الأيديولوجى لانشاء دولة إسرائيل) توم سيجيف، المليون السابع. ١٩٩٣.ص ٥٨٨.

عادة ما تستخدم عبارات ثلاث لتعريف المعاملة التى عانى منها اليهودعلى أيدى النازيين وهى: الإبادة الجماعية، والهولوكوست والشواء. ولعبارة (الإبادة الجماعية) معنى محدد من واقع أصل الكلمة نفسها وهو إبادة جنس ما، وذلك بافتراض وجود جنس يهودى كما تدعى العنصرية الهتلرية وكما يؤكده القادة الإسرائيليون حتى الآن. ولكن هل كانت هناك أثناء الحرب،(إبادة جماعية) لليهود ؟ . ولعبارة الإبادة الجماعية معنى محدد في جميع القواميس. فلاروس على سبيل المثال يعطى هذ التعريف : (الإبادة الجماعية هي الإبادة المنظمة لمجموعة عرقية بالقضاء على أفرادها). ولاينطبق هذاالتعريف حرفيا إلا في حالة غزو يشوع لأرض كنعان، حيث جاء فى سفر العدد أنه بالنسبة لكل مدينة مفتوحة (لم يبق بها شريد (أى إنسان حى)). (العدد، ٢١-٣٥). وعلى ذلك فقد استخدمت العبارة في نورمبرج بطريقة خاطئة تماما لأن الأمر لا يتعلق بإفناء شعب بأكمله والقضاء عليه كما هو الحال بالنسبة للإبادات المقدسة) للعمالقة والكنعايين وغيرهم من الشعوب الأخرى الذى تحدث عنها سفر يشوع بأنها حدثت في عجلون وحبرون: (ولم يبق

منهم باقيا)(يشوع، ١.-٣٧)أو في حاصور: (وأما الرجال فضربوهم جميعا بحد السيف حتى أفنوهم ولم يبقوا نسمة) . (يشوع ، ١١ - ١٤). وعلى النقيض من ذلك، فإن اليهودية (وتعريفها (كنجس) ينتمى إلى القاموس الهتلرى) قد حققت انطلاقة هائلة في العالم مند عام ١٩٤٥. ولا شك أن اليهود كانوا أحد الأهداف المفضلة لهتلر بسبب نظريته العنصرية التى تقوم على تفوق الجنس الآرى، وخلطه المتعمد والمنهجى بين اليهود والشيوعية التى كانت عدوه الرئيسى (وهوما شهد عليه عمليات إعدام آلاف الشيوعيين الألمان، ثم عناده وتصلبه ضد السجناء السلاف أثناء الحرب) . وأطلق على هذا الخلط عبارة (اليهودية البلشفية.) وتوخى منذ إنشاء حزبه (القومى - الاشتراكى) (النازى) ، ليس فحسب) استئصال الشيوعية، بل وطرد جميع اليهود من ألمانيا أولا ، ومن كل أوروبا بعد أن يسيطر عليها. وحدث هذا بطريقة بعيدة كل البعدعن الإنسانية: أولا بالتهجير، ثم بالنفى، وأثناء الحرب، بالحبس في معسكرات الاعتقال في ألمانيا أولاً، ثم بالإبعاد نحو مدغشقر في بادىء الأمر ثم نحو الشرق في الأراضى المحتلة، وخاصة في بولندا،حيث هلك السلاف واليهود والغجر بالأشغال الشاقة في خدمة الإنتاج الحربى، ثم بالأوبئة الفظيعة للتيفوس التى تدل كثرة المحارق على ضخامتها. فماذا عن الحساب الختامى لهذا التعنت الهتلرى ضد هؤلاء الضحايا السياسيين أو العنصريين؟ لقد خلفت هذه الحرب العالمية الثانية. 50 مليونا من الموتى منهم ١٧ مليونا من السوفييت و ٩ ملاين من الألمان. أما بولندا والبلدان الأخرى المحتلة في أوروبا، وكذلك ملاين الجنود من أفريقيا وآسيا، فقد دفعوا ثمناً باهظا بموت عدد كبير منهم. وعلى ذلك، فإن الهيمنة الهتلرية لم تكن، كما أشاعت بعض ألوان الدعاية، حكرا على اليهود وحدهم، أو أنهم كانوا الضحايا الرئيسين. فقدكانت كارثة بشرية لا مثيل لها للأسف الشديد، لأن هتلر طبق على البيض ما طبقه الاستعماريون الأوروبيون

منذ خمسة قرون، على الملونين، ابتداء من هنود أمريكا، الذى استئصل منهم . ٦ مليونا من 80 مليوناً (وبالأشغال الشاقة كذلك والأوبئة) وحتى الأفارقة الذين نقل منهم من عشرة إلى عشرين مليوناً إلى الأمريكتين، بعد أن مات منهم 00 ١ إلى . . ٢ مليون خلال فترة الرق واصطياد العبيد السود. وكانت هذه الأسطورة ترضى الجميع: فالحديث عن (أكبر عملية إبادة جماعية في التاريخ) كان بالنسبة للاستعماريين الغربيين، إنزالاً للستار على جرائمهم (قتل الهنود في أمريكا، والرقيق السود) ، وبالنسبة لستالين محوا لآثار عمليات القمع الوحشية التى قام بها. (المصدر: بول مارى دى لاجورس، ١٩٤٥.١٩٣٩ حرب غير معروفة، باريس١٩٩٥،ص-.٥٣٥ وكانت الغايات من ذلك غايات سياسية وليست غايات حربية. فقد كتب تشرشل ابتداء من ١٩٤٨ في كتابه: الحرب العالمية الثانية (المجلد الرابع): من الخطأ الافتراض بأن مصير اليابان قد تقرر بواسطة القنبلة الذرية) . ويؤكد الأميرال الأمريكى وليم ليهى في كتابه(كنت هناك) على هذا قائلا: في رأيى أن استخدام هذا السلاح البربرى في هيروشيما ونجازاكى لم يكن عونا كبيرا في الحرب ضد اليابان). والواقع أن الإمبراطور هيروهيتو كان قد بدأ المفاوضات للاستسلام فى ٢ مايو ١٩٤٥،مع الاتحاد السوفيتى (الذى لم يكن قد دخل الحرب مع اليابان بعد) ، وذلك بواسطة وزيره للخارجية والسفير السوفيتى مالك.
(المصدر: المرجع السابق، ص-٥٣٢) .
وكانت واشنجتن على معرفة تامة بنوايا اليابانيين.
وعلى هذا فقد كان الهدف سياسيا لا حربيا، كماصرح بذلك الوزيرالأمريكى للطيران فلنتر شارحا أن استعمال القنابل الذرية كان هدفه (طرح اليابان أرضا) قبل دخول روسيا الحرب) . ويلخص الأميرال الأمريكى ليهى في كتابه السابق:
(باستخدامنا القنبلة الذرية كأول من استخدمها، فإننا قد هبطنا إلى مستوى برابرة العصور الوسطى). وبالنسبة لكل هؤلا

الزعماء ، الذين يستحقون أن يقفوا أمام محكمة دولية مكونة من دول محايدة كمجرمى حرب بجانب جورنج وعصابته، اكتشفوا لأنفسهم حججا • بغرف الغاز)و) عمليات الإبادة الجماعية) ، وهى حجج لم تكن لتخطر على بالهم أبدا لتبرير جرائمهم ضد الإنسانية أو محوها على الأقل. وكتب المؤرخ الأمريكى أولبريت، الذى كان مديرا للمعهد الأمريكى للبحوث الشرقية، في كتابه الأساسى، (من العصرالحجرى إلى المسيحية. والوحدانية وتطورها)، وبعد أن برر (الإبادات الجماعية المقدسة) ليشوع فى غزوه لكنعان ، يقول . إننا نحن الأمريكان ليس لنا الحق في الحكم على الإسرائيليين. . لأننا قد أبدنا. . . آلاف الهنود داخل الأركان الأربعة لبلدنا الكبير وجمعنا من تبقى منهم في معسكرات ضخمة للاعتقال ٢٢.(ص-٢.٥). وعبارة (هولوكوست) المطبقةعلى نفس هذه المأساة منذ السبعينات انطلاقا من كتاب إيلى فيتزل :. الليل . (١٩٥٨) والتى انتشرت بعد عرض فيلم (الهولوكوست) ، تشى هى الأخرى بالرغبة في استغلال الجريمة التى ارتكبت ضد اليهود وجعلها حدثاً استثنائيا لا مثيل له ولا يمكن مقارنته بقتل الضحايا الآخرين للنازية، ولا بأى جريمة أخرى من جرائم التاريخ، لأن معاناتهم وأمواتهم قدا تخذت طابعا مقدسا. ومن ثم فإن . لاروس العالمى)(باريس ١٩٦٩ ، ص- ٧٧٢) بعرف الهولوكوست كالآتى : (قربان لدى اليهود، تحرق فيه الضحية بالنار تماما) . وبذلك أصبح استشهاد اليهود لايعادله استشهاد آخرنظرا لطابعه القربانى الذى أدمجهم ضمن المشروع الإلهى على طريقة صلب المسيح في اللاهوت المسيحى، مفتتحا بذلك عصرا جديدا، الأمر الذى أتاح لأحد الحاخامات أن يقول : إن إنشاء دولة إسرائيل، هو رد الرب على الهولوكوست). ولتبرير الطابع المقدس للهولوكوست كان ولابد من الإبادة التامة واختراع عمليات التنفيذ ثم الحرق. نعم الإبادة النهائية، ومن أجلها كان لابد من توخى الحل النهائى للمشكلة اليهودية الذى

صار إبادة. ومع هذا فلم يتسن تقديم أى نص يثبت أن (الحل النهائى) للمشكلة اليهودية كان بالنسبة للنازيين هو الإبادة. ولقد ارتبطت معاداة هتلر للسامية، منذ بياناته الأولى، بمعركته ضد البلشفية (فهو يستخدم دائما تعبير (اليهودية - اللشفية)) ؛ وكانت معسكرات الاعتقال الأولى التى أقامها مخصصة للشيوعيين الألمان الذين ماتوا بالآلاف، بما فيهم رئيسهم تيلمان. أما بالنسبة لليهرد، فإنه كان يوجه إليهم اتهامات متناقضة أولأ انهم من أنشط الحركيين في الثروة إلبلشفية (تروتسكى، وزينوفييف ، كامنيف ، . . . إلخ) ، وأنهم في الوقت ذاته. من أشد الرأسماليين استغلالا للشعب الألمانى. وعلى ذلك، فكان من المهم بعد تصفية الحركة الشيوعية، وإعداد التوسع الألمانى نحو الشرق ، على طريقة الفرسان التوتونين، سحق الاتحاد السوفيتى، الأمر الذي ظل شاغله الشاغل من البداية وحتى النهاية ، والذى ظهر إبان سطوته على شكل فظاعات حيال المسجونين السلاف (البولنديون والروس) . وأنشأ لهذا الغرض أثناء الحرب ضد روسيا، وحدات مكلفة خصصيا للنضال ضد حرب المشايعين السوفييت والقضاء على مفوضيهم السياسيين، حتى لو كانوا مسجونين، ومن بينهم عدد كبيرمن اليهود الشجعان الذين قتلوا كرفاقهم من السلاف. ويبرهن ذلك على حدود الدعاية بشأن (المعاداة السوفيتية للسامية) . فلا يمكن في آن واحد ادعاء أن السوفييت كانوا يبعدون اليهود عن الوظائف. الهامة، والجزم بأن اليهود كانوا يشكلون غالبية (المفوضين السياسيين) للمشايعين الذين تكلفت الوحدات الخاصة بالقضاءعليهم. أما فيما يتعلق بمجموع اليهود الألمان ثم الأوروبيين، فإن إحدى الأفكار البشعة للنازيين كانت تتمثل في تفريغ ألمانيا ثم أوروبا منهم. وشرع هتلر في ذلك على خطوات هى:

- الأولى هي تنظيم تهجيرهم في ظروف تسمح له بسلب أموال الأغنياء منهم. (وقد رأينا كيف تعاون زعماء الصهاينة في

شركة (ععفرا) في هذه العملية بالوعد في مقابل ذلك بالحيلولة دون مقاطعة ألمانيا الهتلرية، وعدم المشاركة في الحركة المضادة للفاشية).
- والخطوة الثانية كانت الإبعاد بلا شرط متابعة للمخطط الرامى إلى إرسالهم جميعاً إلى جيتو عالمى، وهوجزيرة مدغشقر بعد استسلام فرنسا. وجرى التخلى عن هذاالمشروع لضخامة العملية وصعوبته افي زمن الحرب.
- الاحتلال الهتلرى لشرق أوروبا ، ولا سيما بولندا، والذى أمكن التوصل إليه بفضل(الحل النهائى) وهو تفريغ أوروبا من يهودها، بنقلهم بشكل مكثف إلى معسكرات خارجية، التى ذاقوا فيها أشد أنواع المعاناة والتعذيب، بما فى ذلك التجويع والسير الإجبارى، والمميت للضعفاء، والأشغال الشاقة في ظروف لا إنسانية لخدمة المجهود الحربى الألمانى(وكان معسكر أوشفيتز - بيركيناو على سبيل المثال أكبرمركزللصناعات الكيميائية) . وأخيرا الأوبئة، وخاصة التيفوس : التى اجتاحت المعتقلين المنهكين.
فهل من اللازم اللجوء إلى أساليب أخرى لشرح الموت الفظيع الذى حاق بضحايا مثل هذه المعاملة ، وبعد ذلك المبالغة في الأرقام بصورة مفرطة والاضطرار إلى تخفيضها لاحقا؟ .
وكذلك استبدال اللوحة التذكارية بمعسكر بيركيناو-أوشفيتز لتخفيض عدد الموتى من ٤ ملايين إلى مليون؟ .
تغيير لوحة (غرفة الغاز) في داخاو للتوضيح بأنها لم تعمل أبدا.
أو تغيير لوحة (استاد الشتاء) في باريس للإشارة إلى أن عدد اليهود الذين اعتقلوا فيه كانوا ٨١٦. وليس ٣.... كما جاء في اللوحة الأصلية التى تم سحبها .
(المصدر : لموند، ١٨ يوليه ١٩٩٠، ص-٧.)
وليس الغرض مسك دفاترحسابية مؤلمة ومفجعة. فقتل إنسان برىء واحد سواء أكان يهوديا أو لم يكن، هو جريمة ضد الإنسانية. ولكن إذا ما كان عدد الضحايا لا أهمية له من هذه

الناحية، فلماذا إذن التمسك منذ ما يزيد على نصف قرن مضى برقم الستة ملايين، في الوقت الذي لا نعتبر فيه أن عدد الضحايا غير اليهود في كاتين وذرسدن وهيروشيما ونجازاكى لا يجوز الاقتراب منه على العكس من الرقم الذهبى الستة ملايين الذى يحظى بالتقديس، رغم ما طرأ عليه من تخفيض بصورة دائمة. وفيما يتعلق بمعسكرأوشفيتز-بيركيناو وحده :
- 9ملايين وفقا لفيلم المخرج الفرنسى آلان رينيه(الليل والضباب) ، الذى أخرجه عام ١٩٥٥، مع أنه فيلم رائع ومؤثر.
- 8 ملايين وفقا (لوثائق خدمة تاريخ الحرب) - معسكرات الاعتقال، الذى أصدره المكتب الفرنسى للنشرعام ١٩٤٥ ، الصفحة.٧
- 4 ملايين طبقا للتقرير السوفيتى الذى جعلت منه محكمة نورمبرج دليل إثبات شرعى وفقا للمادة ٢١ من النظام الأساسى التى تنص على ما يلى: (تكون للوثائق والتقارير الرسمية للجان التحقيق التابعة لحكومات الحلفاء قوة دليل الإثبات الشرعى) ومع أن هذه المادة نفسها تنص على أن (هذه المحكمة لن تطالب بتقديم الأدلة على الوقائع المعروفة للجميع، وستعتبرها أدلة مسلم بصحتها) .
- 2 مليون حسب ما جاء في كتاب المؤرخ اليهودى ليون بولياكوف (ترانيم الحقد ،١٩٧٤ص-٩.٠)
- مليون وربع حسب ما جاء في كتاب المؤرخ اليهودى راءول هيلبرج، (تدمير يهود أوروبا)، الصادر عام ١٩٨٥، ص -٨٩٥.
والآن وبعد أبحاث تاريخية مطولة قام بها علماء من جنسيات مختلفة، أوجزمدير معهد التاريخ المعاصر في باريس ، السيد فرانسو بيداريدا، هذه الأعمال في مقال له صدر بجريدة لموند وعنوانه (تقييم ضحايا أوشفيتز) ، خلص فيه إلى أن عدد ضحايا معسكر أوشفيتز يتراوح بين ٩٥.... على أقل تقدير و 1.2 مليون على أكثر تقدير.
(المصدر: لموند، ٢٣ يوليه ١٩٩.).

ويمكن كذلك عمل تقييم لعدد الموتى في المعسكرات الأخرى. فعلى سبيل المثال، كم كان عدد الموتى في معسكر مجدانيك؟ مليون ونصف طبقا للوسى داودوفيتش في كتاب (الحرب ضد اليهود) ، الصادر في عام ١٩٨٧، الصفحة ١٩١ .
٣..... حسب لياروش وإبرهارد، ١٩٩١، ص-٢١٧.
٥..... حسب راءول هيلبرج (المرجع السابق) .
وهنا يطرح السؤال التالى. ألا يخدم الدعاية النازية الحديثة تقديم مثل هذه الحجة: إذا كنتم قد كذبتم بشأن مسألة عدد الضحايا اليهود، فماذا يمنع أن تكونوا قد بالغتم في جرائم هتلر ؟). ونفس هذه المغالطات المريبة بشأن أساليب قتل اليهود، قد تثير الشك أيضا: فالنيويورك تايمز الصادرة في ٣ يونيه ١٩٤٢ تتحدث عن (مبنى للإعدام) كان يعدم فيها بالرصاص ١... يهودى يوميا. وفى ديسمبر ١٩٤٥، أدخل ستيفان زيند اليهود في حوض سباحة ضخم يمر فيه تيار كهربائى ذو ضغط عال لصعقهم، ويضيف: وبهذا فإن مشكلة إعدام ملاين الرجال قد حلت). وثيقة نورمبرج رقم ٣٣١١ المؤرخة في١٤ ديسمبر ١٩٤٥، وتشير إلى ضحايا ماتوا بالأبخرة داخل (غرف البخار المحرق) . وبعد شهرين ونصف ، استبدلت نفس هذه المحكمة غرف البخار المحرق بغرف الغاز. ولكن الصيغتان الشائعتان في التليفزيون والصحافة والكتب المدرسية هما الاعدام بالزيكلون ب من جهة، والشاحنات المجهزة بمخارج غاز محركات الديزل. والأمرالذى يؤسف له أن محكمة نورمبرج أوأى محكمة أخرى لم تأمر بإجراء أى معاينة من أجل التحديد النهائى لسلاح الجريمة.
وهناك مثال آخر مؤسف هو معسكر داخاو. . فالفيلم الذى عرض في نورمبرج أثناء المحاكمة بشأن فظاعات النازى، أوضح وجود (غرفة غاز) واحدة فقط. هى غرفة معسكر داخاو. وقد نظمت الزيارات للسياح والطلبة حيث توجد اليوم لوحة تذكارية جاء فيها أن أحدا لم يلق فيها حتفه بالغاز لأنها لم تستكمل أبدا!. وصدر في١٩ أغسطس ١٩٦٠، بيان عن مارتى بروزات

عضو معهد التاريخ المعاصر في ميونيخ، اعترف فيه بأنه لم يحدث أن قتل اليهود أو المعتقلون الآخرون بالغاز في داخاو، أوبريجن-بيلسن، أو بوشنفالد . . ولم يبدأ القضاء الجماعى على اليهود بالغاز إلا في ١٩٤٢,١٩٤١. ..وقبل كل شىء في الأراضى البولندية المحتلة). وبالإضافة إلى عمليات القصف الجوى التى ضربت سكان البلدان المشتركة في الحرب، والأشغال الشاقة والنقل الدائم في ظروف لا إنسانية خلفت آلاف الجثث في الطريق، وسوء التغذية، والأوبئة ، فهل تحتاج هذه المأساة إلى تضخيم للدلالة على قتل اليهود على أيدى النازى؟ وهل الحاجة تدعو والحالة هذه إلى الإبقاء بأى ثمن على هالة القداسة للهولوكوست، والتلويح بشبح (غرف الغاز)؟ . ورغم وجود خلط لدى الناس من ذوى النيات الطيبة بين (محارق الموتى)و غرف الغاز)، ووجود عدد هام من هذه المحارق في المعسكرات الهتلرية لوقف انتشار وباء التيفوس، فإن هذه المحارق ليست بالحجة الكافية، فهذه المحارق موجودة في المدن الكبرى كباريس (بيرلاشيز) ولندن وفي كل العواصم الهامة، وحرق الموتى فيها لا يعنى بالطبع الرغبة في إبادة السكان. ولذلك فقد اقتضى الأمر إضافة (غرف الغاز) إلى المحارق لإقامة الذرائع والتدليل على الإبادة بالنار. ومع ذلك فلم تتوفر المقتضيات المبدئية لإثبات وجودها ولم تسمح معاينة (سلاح الجريمة) بالعثور عليها. وقد خدع الإخراج الذى أحاط بمعسكر داخاو آلاف الأطفال الذين كانوا يقتادون إلى هناك لتلقينهم عقيدة الهولوكوست ، ناهيك عن الكبار وقدماء المعتقلين!. وكانت غرفة الغاز في داخاو هى الوحيدة التى عرضت بالصور على المتهمين في نورمبرج، بوصفها من أماكن الإبادة الجماعية، ويبدو أنهم اقتنعوا بذلك باستثناء جورنج وستريشر.

أسطورة أرض بلا شعب لشعب بلا أرض

(لا يوجد شعب فلسطينى.. وكأننا نحن الذين جئنا لاخراجه من دياره والاستيلاء على بلده. فهم (الفلسطينيون) لا وجود لهم) .
السيدة جولدا مائير في تصريح لجريدة الصنداى تايمز اللندنية بتاريخ ١٥ يونيه ١٩٦٩.
ترتكز الأيديولوجية الصهيونية على فرضية واهية وجد بسيطة هى أنه قد جاء في سفر التكوين (١٨/١٥ - ٢١). ما يلى : و في ذلك اليوم بت الرب مع (أبرام) عهداً قائلاً: لنسلك أعطى هذه الأرض من نهر مصر إلى النهر الكبير نهر الفرات). وانطلاقا من ذلك، ودون التساؤل عن ماهية هذا العهد ولمن صدر الوعد أو أن الاختيار كان غير مشروط ، أعلن الزعماء الصهاينة، حتى ولو كانوا لا أدرين أو ملحدين أن فلسطين قد أعطيت لنا من الرب. وتشير الاحصائيات ، حتى إحصائيات الحكومة الإسرائيلية أن 15 ./. من الإسرائيلين فقط هم من المتدينين. ولكن هذا لا يمنع . ٩ ./. منهم التأكيد على أن هذه الأرض قد منحها لهم الرب. . الذى لا يؤمنون به. ولاتمارس الغالبية العظمى للإسرائيليين الحاليين الطقوس ولا العقيدة الدينية، ولا تضم مختلف (الأحزاب الدينية) التى تلعب مع ذلك دورا حاسما في دولة إسرائيل، سوى أقلية ضعيفة جداً من المواطنين. وشرح ناثان وينستوك هذا التناقض في كتابه (الصهيونية ضد إسرائيل) قائلاً: لوألغينا مفاهيم (الشعب المختار) و(الأرض الموعودة) لانهارت الصهيونية من أساسها) .
(المصدر : الصهيونية ضد إسرائيل، باريس ١٩٦٩ ، ص ٣١٥) .
(إن هذا البلد وجد كوفاء لوعد أخذه الرب على نفسه. ومن المثير للسخرية محاسبته على شرعيته. وتلك هى البديهية المسلم بصحتها والأساسية التى وضعتها جولدا مائير) .
(المصدر: لموند، ١٥ أكتوبر١٩٧١.)

(لقد وعدنا بهذه الأرض، ولنا حق فيها) . كما يقول بيجين.
(المصدر: تصريح بيجين في أوسلو، صحيفة دافار، ١٢ ديسمبر١٩٧٨).
ولا شك أن بن جوريون يشير إلى سابقة (صيد الهنود) في أمريكا لطردهم والاستيلاء على أراضيهم عندما قال بوضوح: ه إن الأمر لا يتعلق بالحفاظ على الوضع الراهن، فأمامنا مهمة إنشاء دولة نشيطة ودينامية موجهة نحو التوسع). وتتطابق الممارسة السياسية مع النظرية الغريبة التى مفادها: الاستيلاء على الأرض بطرد سكانها كما فعل يشوع، خليفة موسى. وقد أعلن مناحم بيجين، وهو أشدهم إيمانا بالتقاليد التوراتية: أن أرض إسرائيل الكبرى ستعود إلى شعب إسرائيل، كلها وللأبد).
(المصدر: مناحم بيجين، العصيان، قصة الأزجون، ص-٣٣٥.)
وهكذا ومنذا البداية، تضع دولة إسرائيل نفسها فوق كل قانون دولى. ولما فرضت إسرائيل على منظمة الأمم المتحدة في ١ ١ مايو ١٩٤٩ بإرادة الولايات المتحدة، فإنها لم تقبل عضوا إلا بثلاثة شروط هى:
١ - عدم المساس بوضع مدينة القدس.
٢ - السماح للعرب الفلسطينيين بالعودة إلى ديارهم.
٣-احترام الحدود التى وضعها قرار التقسيم.
ولكن بن جوريون أعلن في معرض حديثه عن هذا التقسيم وعن القرار الذى اتخذته الأمم المتحدة : (ترى دولة إسرائيل أن قرار الأمم المتحدة الصادر في٢٩ نوفمبر ١٩٤٧، يعتبر باطلا وكأنه لم يكن) . وتتطابق السياسة تماما مع قانون الغاب هذا : إن تقسيم فلسطين المنبثق عن قرار الأمم المتحدة لم يحترم أبدا. وقرار تقسيم فلسطين هذا يشى بمخططات وأهداف الغرب شأن (قاعدته المتقدمة) ، فاليهود في ذلك التاريخ لم يكن يمثلون سوى ٣٢ من السكان، ولا يملكون سوى ٥,٦ من الأرض، ومع هذا فقد حصلوا على ٥٦ من الأراضى ذات التربة الخصبة. ولقد تم التوصل إلى هذه القرارات تحت ضغط من

الولايات المتحدة. فقد مارس الرئيس ترومان ضغطا لا مثيل له على وزارة الخارجية الأمريكية. وفي ذلك يقول وكيل هذه الوزارة سومنر ويلز: بأمر مباشر من البيت الأبيض، كان على الموظفين الأمريكيين ممارسة ضغوط مباشرة أو غير مباشرة. . لضمان الأغلبية اللازمة عند التصويت النهائى) .
(المصدرسومنرويلز، (علينا ألا نخفق)، بوسطون،١٩٤٨، ص-٦٣).
ويؤكد جيمس فورستال، وزير الدفاع آنذاك ، أن: (الأساليب المستخدمة للضغط، ولإكراه الدول الأخرى في الأمم المتحدة، أشفت (قاربت) على الفضيحة) .
(المصدر: مذكرات فورستال، نيويورك، ١٩٥١، ص٣٦٣.).
وقد تم أيضا تعبئة قوى الاحتكارات الخاصة لهذا الغرض. ومع ذلك، فقد انتهكت هذه القرارات المتحيزة ابتداء منعام ١٩٤٨ . فكلما احتج العرب على هذا الظلم ورفضه، تمادى الزعماء الإسرائيليون في استغلال ذلك للاستيلاء على أراض جديدة، لا سيما يافا وعكا، بحيث سيطر الصهاينة في ١٩٤٩ على ٨. من البلاد، وطرد .,... ٧٧ فلسطينى منها. وكان الأسلوب المستخدم والمتبع هو أسلوب الترهيب والتخويف. والمثل الصارخ على ذلك هو دير ياسين. ففي التاسع من أبريل ١٩٤٨، بطريقة مماثلة لطريقة النازى في أورادور، قتل أهالى هذه القرية البالغ عددهم٢٥٤ نسمة (الرجال والنساء والأطفال والشيوخ) على أيدى قوات الأرجون التى كان يرأسها مناحم بيجين.
ويقول مناحم بيجين إنه بدون (الانتصار) في دير ياسين، ما قامت دولة إسرائيل (فقد قامت الهاجانة بهجمات مظفرة على جبهات أخرى. . وكان العرب الذين أصابهم الهلع يهربون وهم يصيحون: دير ياسين) . وقد اعتبر (غائبا) كل فلسطينى غادر منزله قبل أول أغسطس ١٩٤٨. وبهذه الطريقة صودر ثلثا الأراضى المملوكة للعرب (٧.... هكتار من ١١....). وعندما صدر في عام ١٩٥٣، قانون حيازة العقارات، حدد التعويض حسب قيمة الأراضى في عام . ١٩٥ ، مع أن الجنيه الإسرائيلى كان قد

فقد قيمته بمعدل خمس مرات. وكانت الأمم المتحدة قد عينت وسيطاً هو الكونت فولك برنادوت، الذى وصف في تقريره الأول السلب الصهيونى على النطاق الواسع وتدمير القرى دون ضرورة عسكرية ملحة. وقدم هذا التقرير في ١٦سبتمر١٩٤٨. وفي ١٧ سبتمر ١٩٤٨، اغتيل الكونت برنادوت ومساعده الفرنسى الكولونيل سيرو، في الجزء الذى يحتله الصهاينة من القدس. ولم تكن هذه أول جريمة صهيونية ضد من يتجاسرعلى فضح تضليلهم وغشهم. فقد أعلن اللورد موين، الوزير المفوض البريطانى في القاهرة، أمام مجلس اللوردات في ٩ يونية ١٩٤٢ ، إن اليهود ليسوا أحفاد العبرانين القدماء، وأنهم لايملكون المطالبة الشرعية بالأراض المقدسة. وفي ٩ نوفبر ١٩٤٤، اغتيل اللورد موين في القاهرةعلى يد اثنين من أفراد جماعة شتيرن (التابعة لاسحق شامير) . كما حلت دولة إسرائيل محل المستعمرين القدماء و بنفس الأساليب في الزراعة وغيرها، وبذلك تواصل النظام لاستعمارى وتفاقم. ويعترف الدكتور روزنفيلد في كتابه (العمال العرب المهاجرون) الذى نشرته الجامعة العبرية في ١٩٧٠، بأن لزراعة العربية كانت أكثر ازدهارا وقت الوصاية البريطانية منها اليوم. وظهر التمييز العنصرى كذلك في إطار سياسة الإسكان. فقد ذكر إسرائيل شاحاك، الأستاذ بنفس هذه الجامعة العبرية في كتابه : (عنصرية دولة إسرائيل) (ص ٥٧) أنه يوجد في إسرائيل مدن بأكملها (كارمل، ونزارت، وإليت، وهتزور وأراد وميتزفين- رامن وغيرها) يحرم القانون أن يقطنها غير اليهود. وقد انعكست هذه السياسة كذلك على الثقافة والتعليم. ونحن هنا في صميم المنطق الصارم للنظام الصهيونى وهو كيفية خلق أغلبية يهودية في بلد تسكنه طائفة عربية فلسطينية من السكان الأصليين؟ وطرحت السياسة الصهيونية الحل الوحيد المنبثق عن برنامجها الاستعمارى الاستيطانى : إشاء مستعمرة إسكان بطرد الفلسطينيين، ودفع عجلة الهجرة اليهودية. وقد كان طرد

الفلسطينيين والاستيلاء على أرضهم عملية متعمدة ومنظمة. فالصهاينة أيام وعد بلفور في ١٩١٧ ، كان لايملكون سوى ٢,٥ من الأراضى، ولدى صدور قرار (تقسيم) فلسطين، ٦,٥ أما في عام ١٩٨٢، فإنهم كانوا يملكون٩٣ % من الأراضى!. وكانت الطرق المستخدمة لانتزاع الأراضي من سكانها الأصليين، هى نفسها طرق الاستعمار القاسية مع إضفاء الصبغة العنصرية المتميزة في حالة الصهيونية. وقد اتخدت الخطوات الأولى طابع الاستعمار الكلاسيكى، أى استغلال اليد العاملة المحلية. وكان هذا هو أسلوب البارون إدوارد روتشيلد، وهو الأسلوب الذى كان يستخدمه في زراعته للعنب في الجزائر، والمتمثل في اليد العاملة الرخيصة للفلاحين، ولما مد أعماله إلى فلسطين، فإنه استغل في زراعاته للعنب، عربا آخرين هم الفلسطينيون. وحدث نوع من التحول في المنحنى نحو عام ١٩.٥، عندما وصلت من روسيا موجة جديدة من المهاجرين في أعقاب سحق ثورة ١٩.٥. فبدلاً من مواصلة الكفاح إلى جانب الثوار الروس الآخرين في روسيا، فرواإلى فلسطين حاملين معهم نوعا غريبا من (الاشتراكية الصهيونية) . حيث أنشأوا تعاونيات حرفية وكيبوتزات للفلاحين بعد أن استبعدوا الفلاحين الفلسطينيين لخلق اقتصاد يستند إلى طبقة عاملة وزراعية يهودية . ومنذ ذلك الحين، ارتبط الأمر باستبدال الشعب الفلسطينى بشعب آخر، وبطبيعة الحال الاستيلاء على الأرض. وكانت نقطة الانطلاق الكبرى هى إنشاء (الصندوق القومى اليهودى) في عام ١٩.١، الذى كان له طابعه الخاص المتمثل في أن الأرض التى تقع في حوزته لا يمكن إعادة بيعها ولا تأجيرها لغير اليهود، لأنها أصبحت أراضى إسرائيل) . وثمة إجراء آخر وهو استخدام (قوانين الطوارىء) التى أصدرها الإنجليز في عام ١٩٤٥ ضد اليهود والعرب. وقد احتج القانونى اليهودى برنارد جوزيف ضد هذا التشريع عند صدوره لأن المواطن أصبح عرضة للحبس مدى الحياة دون محاكمة. وقد طبق هذا الشخص

نفسه هذه القوانين ضد العرب عندما تولى وزارة العدل في إسرائيل. وفيما يتعلق بهذه القوانين كذلك، فإن جوزيف شبيرا أعلن فى مظاهرة احتجاج في شوارع تل أبيب في ٧ فبراير ١٩٤٦ ، أن هذا التشريع لا مثيل له في البلدان المتمدينة ، ولم توجد حتى في ألمانيا النازية قوانين مماثلة) . ونفس هذا الشخص الذى أصبح نائبا عاما ثم وزيراً للعدل في دولة إسرائيل، طبق هذه القوانين ضد العرب ومبرراً ذلك بأن حالة الطوارىء لم تلغ منذ ١٩٤٨ في دولة إسرائيل. وكتب شيمون بيريز في صحيفة دافار بتاريخ ٢٥ يناير ١٩٧٢ ما يلى : (إن استخدام القانون ١٢٥(وهو قانون الطوارئ) الذي تقوم عليه الحكومة العسكرية، هو استمرار مباشر للنضال من أجل التأصيل اليهودى والهجرة اليهودية) . أما المرسوم الخاص بزراعة الأراضى البور، الصادر في عام ١٩٤٨، والمعدل في ١٩٤٩، فقد أباح لوزير الزراعة دون التذرع بالحجج، مصادرة الأراضى المهجورة. ولكن ما قامت به القوى الصهيونية من تفريغ للأرض من سكانها العرب بالطرد والترويع والمذابح كما حدث في دير ياسين عام ١٩٤٨،ثم في كفر قاسم عام ١٩٥٦، قد(حرر) أراضي شاسعة تخلى عنها أصحابها من العرب، وأعطيت للمحتلين اليهود. ولمحو ذكرى وجود السكان الزراعيين الفلسطينيين والتأكيد على أسطورة (بلاد صحراء) ، دمرت القرى العربية وهدمت منازلها وأسوارها وحتى قرافاتها وقبورها. وقد أورد الأستاذ إسرائيل شاحاك عام ١٩٧٥ قائمة بأسماء ٣٨٥ قرية عربية دمرت بالبولدوزر، وذلك من بين ٤٧٥ قرية كانت مسجلة في عام ١٩٤٨ . وقال وليتسنى الإقناع بأن فلسطين قبل إسرائيل لم تكن سوى (صحراء)، دكت مئات القرى بالبولدوزر وسويت بالأرض بيوتها وأسوارها وقرافاتها وقبورها).

(المصدر : إسرائيل شاحاك، عنصرية دولة إسرائيل، ص ١٥٢ وما بعدها).

واستمر زرع المستوطنات الإسرائيلية وازداد منذ ١٩٧٩ في الضفة الغربية، وطبقا للتقاليد الاستعمارية الكلايكية وهى تسليح المستوطنين . وكانت النتيجة الإجمالية هى الآتى : بعد طرد مليون ونصف مليون فلسطينى، أصبحت (الأرض اليهودية) كما يقول العاملون في (الصندوق القومى اليهودى) ، تمثل اليوم ٩٣ من فلسطين بعد أن كانت ٦,٥ عام١٩٤٧.
وقد حرف (قانون العودة) لصالح اليهود . فأى يهودى قادم من أى مكان يصبح مواطنا إسرائيليا بمجرد ما تطأ أقدامه مطار تل أبيب، أما الفلسطينى المولود في فلسطين ومن أبوين فلسطينيين ، فيجوز اعتباره عديم الجنسية . ويقولون إن ليس في هذا أى تمييز عنصرى ضد الفلسطينيين ولكن مجرد إجراء في صالح اليهود!. والواقع أن من استقروا في إسرائيل ، فإن القليل منهم من جاء للوفاء (بالوعد) . وهذا من حسن الحظ، لأن اليهود قد لعبوا دورا بارزاً في كل بلدان العالم وفي كل ميادين الثقافة والعلوم والفنون، ومما يحز في النفس أن تتوصل الصهيونية إلى تحقيق الغرض الذى وضعه المعادون للسامية وهو انتزاع اليهود من أوطانهم وحبسهم داخل جيتو عالمى. فقد كان هناك ٢٥... يهودى عام ١٨٨. في فلسطين من بين ٥..... نسمة من السكان . وابتداء من عام ١٨٨٢ ، بدأت الهجرات الكبرى عقب عمليات ذبح اليهود في روسيا القيصرية. وعلى ذلك فمن عام ١٨٨٢ وحتى عام ١٩١٧، وصل ٥.... يهودى إلى فلسطين. ثم جاء المهاجرون البولنديون ويهود المغرب هربا من الاضطهاد ، وذلك بين الحربين العالميتن . ولكن أهم مجموعة ضخمة كانت المجموعة القادمة من ألمانيا بسبب معاداة هتلر للسامية، فوصل نحو ٤..... يهودى إلى فلسطين قبل عام ١٩٤٥. وفي عام١٩٤٧ ، وعشية إنشاء دولة إسرائيل، كان هناك ٦..... يهودى في فلسطين من مجموع السكان البالغ قدره مليون وربع مليون نسمة وهنا بدأ الاجتثاث المنظم للفلسطينيين. فقد كان هناك قبل حرب ١٩٤٨ نحو٦٥.... عربى

يعيشون في الأراضى التى ستصبح دولة إسرائيل. وفي ١٩٤٩،لم يتبق سوى ١٦..... وبسبب الخصوبة الشديدة وكثرة مواليدهم أصبحوا ٤٥.... في نهاية ١٩٧. . وكشفت رابطة حقوق الإنسان في إسرائيل، أنه في الفترة من ١١ يونيه ١٩٦٧ وحتى ١٥ نوفمبر ١٩٦٩، دمر ٢.... منزل عربى بالديناميت في إسرائيل والضفة الغربية. وكان التعداد البريطانى الذى أجرى في ٣١ ديسمبر ١٩٢٢ ، قد أحصى ٧٥٧... نسمة في فلسطين، منهم ٦٦٣.. من العرب (٥٩.... من العرب المسلمين، و ٧٣... من العرب المسيحيين) و ٨٣... يهودى (أى : ٨٨ من العرب و ١١ من اليهود) . وإلجدير بالذكر أن هذه (الصحراء) المزعومة كانت تصدر الحبوب والموالح. فقبل الصهاينة ، كان (البدو) يصدرون ٣.... طن من القمح سنويا، وزادت مساحة الأراضى المزروعة بالفواكه ثلاث مرات من ١٩٢١ إلى ١٩٤٢، وبالبرتقال وغيره من الموالح ، وتضاعفت سبعة مرات ، فيما بين ١٩٢٢و١٩٤٧، وتضاعف الإنتاج عشرة مرات فيما بين١٩٢٢و1938. وجاء في تقرير بيل الذي قدم إلى البرلمان البريطانى في يوليه ١٩٣٧ ، بشأن صادرات الدول من سلال البرتقال الشتوى، جاء ما يلى:

فلسطين : ٥ ١ مليون سلة .

الولايات المتحدة: ٧ملايين سلة.

إسبانيا : ٥ ملايين سلة .

بلدان أخرى (قبرص، مصر، الجزائر، .. إلخ) ٣ ملايين.

(المصدر: تقرير بيل، ص ٢١٤.)

وكتبت صحيفة اديعوت أحرونوت اليومية ، ذات أكبر توزيع في إسرائيل تقول: (منذ السبعينات، لم يحدث مثل هذا التسريع بالإنشاء والتشييد في الأراضى (المحتلة) فاريل شارون مشغول بإنشاء مستوطنات جديدة، وتطوير المستوطنات الموجودة، وبناء الطرق وإعداد مساحات جديدة للبناء) ومن الوهم الاعتقاد في أى (استقلال ذاتى) حقيقى للفسلطينيين

مع الابقاء على المستوطنات اليهودية في الأراضى المحتلة ، وحمايتها بالجيش الإسرائيلى، وتسليح المستوطنين، فهذا يجعل من المستحيل قيام سلام طالما استمر الاحتلال في الواقع. وتبذل الجهود الرئيسية للاستيطان الاستعمارى في القدس بهدف جعل قرار ضمها بالكامل نهائيا ولا رجعة فيه، وهو ما شجبته الأمم المتحدة (بما في ذلك الولايات المتحدة!) . إن المستوطنات الاستعمارية في الأراضى المحتلة هى انتهاك فاضح للقوانين الدولية وخاصة اتفاقية جنيف الصادرة في ١٢ أغسطس ١٩٤٩، والتى تنص المادة ٤٩ منها على ما يلى : (لا تستطيع القوى المحتلة القيام بأى نقل لجزء من سكانها المدنيين إلى الأراضى التى تحتلها). وحتى هتلر لم ينتهك القانون الدولى، فهو لم يسكن أى مستوطن مدنى ألمانى في الأراضى التى طرد منها الفلاحين الفرنسيين. وحجة (الأمن) و (إرهاب) الانتفاضة، هى حجج واهية، والأرقام تتحدث عن نفسها في هذا الصدد : فقد قتل ١١١٦ فلسطينيا منذ بداية الانتفاضة (ثورة الحجارة)، في ٩ ديسمبر ١٩٨٧ ، وبرصاص العسكرين والشرطة والمستوطنين . والمصادر العسكرية تتحدث عن ما يقرب من عشرين ألفا من الفلسطينيين الجرحى، أما الأونروا فتتحدث عن تسعين ألفا . وحسب المنظمات الإنسانية، اعتقل١٥ ألف فلسطينى في ١٩٩٣ في السجون وفي مراكز الاعتقال التابعة للجيش الاسرائيلى. وتوفى ١ ٢ ١ فلسطينيا في السجون الاسرائيلية منذ بداية الانتفاضة وفي ظروف غامضة . وتشير هذه المنظمات الإنسانية أيضا إلى أنه قد جرى تعذيب ٢.ألف فلسطينى على الأقل أثناء الاستجوابات. وهذا الكم الهائل من انتهاكات القانون الدولى مرجعه نظرة إسرائيل إلى القانون الدولى الذى يعتبر بالنسبة لها مجرد(قصاصة ورق) لا قيمة لها، أو كما يقول (الأستاذ إسرائيل شاحاك) : (لأن هذه المستوطنات، بطبيعتها، تندرج ضمن نسق متكامل ، من النهب والسلب ، والتفرقة والفصل العنصرى) .

(المصدر: المرجع السابق، ص-٢٦٣.)

ثالثا الاستخدام السياسي للأسطورة

1- اللوبى فى الولايات المتحدة

(إن تأثير رئيس الوزراء الإسرائيلى على السياسة الخارجية للولايات المتحدة في الشرق الأوسط يفوق بكثير تأئيره في بلده) .
بول فندلي (يتجرؤن علي الكلام) ص٩٢
كيف أثارت هذه الأساطيرالعقائد التى يصعب اقتلاعها من أذهان ملايين الناس من ذوى النيات الطيبة؟
- بإنشاء اللوبيات القوية القادرة على توجيه أفعال السياسيين وتكييف الرأى العام. وتتلاءم طرق العمل مع ظروف كل بلد.
ففى الولايات المتحدة حيث يعيش ٦ ملايين من اليهود ، فإن الصوت الانتخابى اليهودى) يمكن أن يكون حاسما، لأن غالبية الناخبين (بسبب الرقم المرتفع للممتنعين عن التصويت وانعدام المشاريع الشاملة المتباينة بين الحزبين) تتوقف على أقل القليل، ويمكن إحراز الفوز بفارق بسيط. وبالإضافة إلى أن قابلية الرأى العام للتبخر والتى تتوقف إلى حد كبير على(مظهر) المرشح أو على مهارة أدائه في التليفزيون، ترتهن أيضا بميزانيات لجانه وإمكانيات (تسويقه) السياسى.
وأقوى لوبى معترف به في الولايات المتحدة هو (إيباك) (لجنة الشئون العامة الأمريكية-الإسرائيلية). ولقد كانت قوة الصهاينة في الولايات المتحدة على أشدها بالفعل عام ١٩٤٢، بحيث قرر الاتفاق الذى أبرم فى فندق بلتيمور بنيويورك أنه ينبغى الانتقال من فكرة (وطن يهودى في فلسطين) (وهو الذى وعد به بلفور) ، إلى إنشاء دولة يهودية ذات سيادة. وهنا تكمن الازدواجية التى عرفت بها الصهيونية طوال تاريخها. فالجميع كانوا يتحدثون عن (وطن) كما لو كان الأمر يتعلق بمقر روحى أو ثقافى، ولكنهم كانوا يفكرون في الواقع في (دولة)،

كهرتزل نفسه. وإلى هذا أشار الجنرال سمطس، عضو حكومة الحرب، عندما أعلن في جوهانسبرج بتاريخ ٣ نوفمبر ١٩١٥:(خلال الأجيال القادمة، سترون قيام دولة يهودية كبرى مرة أخرى هناك (أى في فلسطين)) . وكتب لورد كيرزون في ٢٦ يناير ١٩١٩ يقول : (بينما ويزمان يقول شيئا، وأنت تفكر أن هذا الشىء هو(وطن قومى يهودى)، فإنه يرمى إلى شى۶ آخر مختلف تماما، إنه يتطلع إلى دولة يهودية، وإلى إخضاع السكان العرب لحكم اليهود. إنه يسعى إلى تحقيق ذلك من وراء الستار، وبحماية الضمان البريطانى) . وقد شرح ويزمان بوضوح للحكومة البريطانية أن هدف الصهيونية هو إنشاء (دولة يهودية) (بها أربعة أو خمسة ملايين يهودى) . وقد أعطاه لويد جورج وبلفور التأكيدات على أنه باستخدام عبارة (وطن قومى) فى إعلان بلفور، فإننا نقصد بذلك دولة يهودية). وفي ١٤ مايو ١٩٤٨، أعلن بن جوريون في تل أبيب استقلال : (الدولة اليهودية في فلسطين والتى ستسمى : إسرائيل) . وحول الاختلاف في الرأى بين بن جوريون الذى كان يرى أنه من الواجب على كل يهودى في العالم القدوم للعيش في هذه الدولة، وبين المنادين بأن نشاط اليهود في الولايات المتحدة يعتبر أهم وفي صالح إسرائيل نفسها، فقد نجح هذا التيار الأخير في ذلك، ولم يستقر في إسرائيل سوى ٥٤.. يهودى من بين ٣٥... أمريكى أو كندى هاجروا إلى إسرائيل.
(المصدر : ملفين روفيسكى، اليهودية الأمريكية وإسرائيل، نيويورك، ١٩٧٨،ص-.٢٦٥)
وقبلت إسرائيل في الأمم المتحدة بفضل الضغوط الوقحة للوبى.
وعن قوة اللوبى الصهيونى(والصوت الانتخابى اليهودى) صرح الرئيس ترومان نفسه أمام مجموعة من الديبلوماسيين في عام ١٩٤٦: (آسف أيها السادة، ولكن على أن أستجيب لمئات الآلاف

من الناس الذين ينتظرون فوز الصهيونية، وليس لدى آلاف العرب من بين ناخبي).
(المصدر : وليم إيدى، روزفلت وابن سعود، نيويورك، ١٩٥٤،ص ٣١).
ويشهد رئيس الوزراء السابق كلمنت إتلى على ذلك بقوله : (إن سياسة الولايات المتحدة في فلسطين يشكلها الصوت الانتخابى اليهودى، والإعانات المقدمة من العديد من الشركات اليهودية الكبرى). وقد أوقف أيزينهاور بالاتفاق مع السوفييت ، العدوان الإسرائيلى في عام ١٩٥٦ (بدعم من الزعماء الإنجليز والفرنسيين) على قناة السويس. ولم يبد السناتور كنيدى أى حماس حيال هذه المسألة. ولكن الرابطات اليهودية استطاعت في عام ١٩٦. أن تبين له أن موقف أيزنهاور في مسألة السويس كان سيئا وأن ترومان كان يسير في الطريق السليم . . وأخذ كنيدى بهذه النصيحة عندما اختير مرشحا للحزب الديمقراطى، وحصل على ٥..... دولار لحملته الانتخابية من اليهود، وعلى ٨. من أصوات الناخبين اليهود، عين كلوتزينيك، رئيس مؤتمر الرابطات اليهودية في أمريكا، مستشارا له).
(المصدر : ملفين روفيسكى، المرجع السابق ، ص ٢٦٥ .)
وفي أول مقابلة له مع بن جوريون في فندق وولدورف استوريا في نيويورك في ربيع ١٩٦١، قال له كنيدى : (أعرف تماما أننى انتخبت بفضل أصوات اليهود الأمريكيين. وأنا أدين لهم بانتخابى. وقل لى ماذا على أن أفعله من أجل الشعب اليهودى).
(المصدر: ادوارد تيفانان: اللوبى، ص٥٦.)
وبعد كنيدى، ذهب ليندن جونسون أبعد من ذلك فقد كتب أحد الدبلوماسيين الإسرائيليين : (لقد فقدنا صديقا كبيرا ولكننا وجدنا أفضل منه. إن جونسون هو أفضل صديق عرفته الدولة اليهودية فى البيت الأبيض).

(المصدر: ل. كنيان، خط إسرائيل الدفاعى، بافالو، ١٩٨١ ، ص٦٦.)
فقد ساند جونسون بالفعل حرب الأيام الستة فى عام ١٩٦٧ ، وبكل قوة. ومنذ ذلك التاريخ، دافع ٩٩ من اليهود الأمريكان عن الصهيونية الإسرائيلية. (وأن تكون يهوديا اليوم يعنى أن تكون مرتبطا بإسرائيل.)
(المصدر: شالوموا فنيرى، قيام الصهيونية الحديثة، ١٩٨١، ص-٢١٩).
وفى نوفمبر١٩٨٧ ، صدر القرار ٢٤٢ الذى يقضى بالجلاء عن الأراضى المحتلة أثناء الحرب ، وقام ديجول بعد هذا العدوان بإعلان حظر الأسلحة المرسلة إلى إسرائيل.
وحذا البرلمان الأمريكى حذوه. ولكن جونسون رفعه في ديسمبر تحت ضغط (الإيباك) ، وسلم إسرائيل طائرات الفانتوم التى طلبتها. وبناء على ذلك، لم توجه إسرائيل النقد لحرب فيتنام. وعندما حضرت جولدا ماير إلى الولايات المتحدة في عام ١٩٧٩، شبهها نيكسون (بديبورا التوارتية) وكال لها المديح على ازدهار إسرائيل.
(المصدر : ستيفن سبيجل النزاع العربي الإسرائيل الآخر، ١٩٨٥ ، ص- ١٨٥.)
وسلم نيكسون لإسرائيل 45 طائرة فانتوم إضافية إلى جانب 80مقاتلة سكاى هوك. وتوفى عبد الناصر فى ٨ سبتمر ١٩٧. ، عرض السادات السلام مع إسرائيل. ورفض موشى ديان، وزير الدفاع، على الرغم من معارضة وزيرالخارجية أبا إيبان. وفي ٦ أكتوبر ١٩٧٣ ، شن السادات الحرب التى سميت باسم (يوم كيبور) (حرب أكتوبر) والتى دمرت سمعة السيدة جولدا مائير واضطرتها إلى الاستقالة في ١. أبريل ١٩٧٤ ، وكذلك موشى ديان. ورغم ذلك، أحرزلوبى الكابيتول اليهودى في واشنجتن نصرا كبيرا بالتعجيل بتسليح إسرائيل : ملياران من الدولارات بحجة مكافحة اللوبى العربى المنافس .

(المصدر: نيف، محاربو القدس، ص-٢١٧ .)
وأضيفت أموال البنوك اليهودية في وول ستريت إلى المعونة الحكومية. وحشدت الإيباك وعبأت نفسها من جديد وحصلت في ثلاثة أسابيع على توقيع ٧٦ سناتورا في يوم ٢١ مايو ١٩٧٥ لمطالبة الرئيس فورد بدعم لإسرائيل مثلهم, أما مسيرة جيمى كارتر فكانت موضوعة : ففى معبد اليزابيث في نيوجرسى ، وكان مرتديا ثوبا فضفاضا من القطيفة الزرقاء ، أعلن: (إننى أعبد نفس الرب مثلكم. ونحن المعمدانيين ندرس نفس التوراة مثلكم) . وختم يقول: إن بقاء إسرائيل على قيد الحياة لا ينهض على السياسة، ولكنه واجب أخلاقى).
(المصدر: التايم، ٢١يونية ١٩٧٦).
وفي نوفمير١٩٧٦، حضر ناحوم جولدمان، رئيس المؤتمر اليهودى العالمى، إلى واشنجتن لمقابلة الرئيس ومستشاريه، فانس وبريجينيسكى، وأعطى إدارة كارتر هذه النصيحة غير المتوقعة : حطموا اللوبى الصهيونى في الولايات المتحدة) .
(المصدر: شتيرن، نيويورك، ٢٤إبريل ١٩٧٨.)
وكان جولد مان قد كرس حياته للصهيونية ولعب دورا هاما في اللوبى منذ أيام ترومان، وهو يقول اليوم إن ماكونته بنفسى كانت (قوة مدمرة غاشمة) وعقبة رئيسية (أمام السلام في الشرق الأوسط) . وكان بيجين في الحكم ، فقرر جولدمان نسف سياسته، وإن استدعى ذلك تدمير مجموعة الضغط التابعة له. وبعد مضى ست سنوات، أكد سيروس فانس هذه المقالة وقال: لقد اقترح علينا جولدمان سحق اللوبى، ولكن الرئيس ووزير الخارجية ردا بأنهما لا يملكان القدرة على ذلك، وأن ذلك قد يفتح الباب على مصراعيه أمام معاداة السامية)
(المصدر: اللوبى، ١٩٨٧، ص-١٢٣).
وقد رحب رجال الأعمال الأمريكيون باتفاقات كامب ديفيد (سبتمر ١٩٧٨) (حيث عقد السادات سلاما منفردا مع إسرائيل، لا يمس الضفة الغربية (يهودا وسامرا، الأراضى التوراتية حسب

قول بيجين) ولم يتناول سوى سيناء ، وهى بالنسبة لبيجين ، ليست بأرض توراتية.
(المصدر: ستيفان إسحاق، اليهود والسياسة الأمريكية، ١٩٧٤ ، ص- ١٢٢).
وكان كارتر في عام ١٩٦٨، قد حصل على ٦٨ % من أصوات اليهود، وفي عام ١٩٨. لم يحصل إلا على 45% فقط، لأنه باع طائرات ف 15 لمصر وطائرات أواكس للمملكة العربية السعودية ، رغم تأكيداته أن هذه الطائرات لن تستخدم أبدا ضد إسرائيل. ورغم ذلك فقد هزمه ريجان في ١٩٨. الذي أفرد وعلى العكس منه ٦.. مليون دولارمن الائتمانات العسكرية لإسرائيل. وقد شجع ذلك بيجين على تدمير المحطة العراقية النووية، التى بناها الفرنسيون متذرعا في ذلك بالأسطورة المقدسة : (لن يكون هناك هو لوكوت آخر أبدا) . وفي ١٧ يولية ١٩٨١ ، قصف بيجين غرب بيروت لتدمير قواعد منظمة التحرير الفلسطينية كما ادعى. وفي ١٤ ديسمبر ١٩٨١، ضم بيجين الجولان. واحتج ريجان على هذا الخرق الجديد للقرار ٢٤٢، فثار بيجين وقال: هل نحن جمهورية من جمهوريات الموز، أو دولة تابعة لدولتكم؟) . وفي السنة التالية، اجتاح بيجين لبنان. وأعطى الجنرال هيج وزير الدفاع الأمريكي، الضوء الأخضرلهذا الغزو الذى يهدف إلى فرض حكومة مسيحية في لبنان.
(المصدر : زيف شيف، حرب إسرائيل في لبنان، ١٩٨٤).
وقلة هم الأمريكان الذين انتقدوا هذا الغزو، مثلما كانت قلة من اليهود هى التى انتقدت حرب فيتنام. ولكن مذابح صبرا وشاتيلا، تحت سمع وبصر شارون وإيتان، والصور التى عرضها التليفزيون، أجبرت اللوبي اليهودى على الكلام والخروج عن الصمت. وإنتقد نائب رئيس المؤتمر اليهودى العالمى هرتزبرج، وعدد كبير من الحاخامات، بيجين فى أكتوبر ١٩٨٢. واتهم بيجين الحاخام شندلر، الذى أذاع هذا النقد في التليفزيون بأنه

(أمريكى أكثر منه يهودى) ، واتهمه بعضهم بأنه عميل. وبهذه المناسبة ساند المسيحيون الصهاينة فى الاعتداء الإسرائيلي، وتسلم رئيسهم جيرى فالول، أعلى الأوسمة الصهيونية وهى جائزة جابوتينسكى على ما أداه من خدمات لإسرائيل، بالإضافة إلى ١.. مليون دولار من الدولة الإسرائيلة و : ١٤ مليون دولار من مؤسسة سواجيرت.
(المصدر: التايم، ١٧ فبراير١٩٨٦).
وبهذا أصبحت القوة المالية، وبالتالى السياسية في عالم يباع فيه كل شىء ويشترى، هى القوة الحاسمة والفاصلة. ومنذ عام ١٩٤٨ ،. قدمت الولايات المتحدة لإسرائيل ٢٨ مليار دولار كمساعدة اقتصادية وعسكرية.
(المصدر: مجلة التايم، يونيه ١٩٩٤).
وبعد أن اطمأن الزعماء الإسرائيليون على تدفق الأموال من الخارج والمتمثلة في:
١ -التعويضات الألمانية والنمساوية.
٢-السخاء غير المشروط للولايات المتحدة.
٣-تحويلات أبناء(الشتات).

بدأوا في وضع تصور لسياستهم الخارجية قائمة على تطلعات طموحة لإنشاء (إسرائيل الكبرى) والشاهد على ذلك، المقال الذى نشرته مجلة (كيفونيم) (التوجهات) التى تصدرها في القدس المنظمة الصهيونية العالمية، وعنوانه: الخطط الاستراتيجية لإسرائيل في الثمانينات) . (إن مصر بوصفها جسدا مركزياً ، فإن هذا الجسد قد مات لاسيما لو أخذنا في الاعتبار المجابهة التى تزداد بين المسلمين والمسيحيين. كماأن تقسيمها إلى مقاطعات جغرافية منفصلة يجب أن يكون هدفنا السياسى في التسعينات، على الجبهة الغربية.
فإذا ما تفككت مصر وحرمت من السلطة المركزية، فإن بلدانا أخرى مثل ليبيا والسودان وغيرهما من البلدان الأبعد، ستعرف نفس التفكك. ويعتبر تشكيل دولة قبطية في صعيد مصر، هو مفتاح الحل لتطور تاريخى تأخر اليوم بسبب اتفاق السلام، ولكن لابد منه على المدى الطويل. ورغم المظاهر، فإن الجبهة الغربية تمثل مشاكل أقل من مشاكل الشرق . ويجسد تقسيم لبنان إلى خمس محافظات .. . ما سيحدث في العالم العربى بأسره. وتفكك سوريا والعراق إلى مناطق محددة على أساس المعايير العرقية أو الدينية ينبغى أن يكون على المدى الطويل هدفا ذا أولوية لإسرائيل، على أن تكون الخطوة الأولى هى تحطيم القوة العسكرية لهاتين الدولتين. فالهياكل العرقية في سوريا تعرضها للتفكك الذى قد يؤدى إلى إنشاء دولة شيعية على طول انساحل، ودولة سنية في منطقة حلب، وأخرى في دمشق، وكيان درزى قد يرغب فى تشكيل دولته الخاصة به -وربما فوق هضبة الجولان-وعلى أى حال مع حوران وشمال الأردن .. . ومثل هذه الدولة ستصبح على المدى الطويل، ضمانا للأمن والسلام في المنطقة - وهو هدف في متناول يدنا بالفعل. والعراق الغنى بالبترول، والمرتع للمنازعات الداخلية هو خط التسديد الاسرئيلى . وتفكيكه سيكون بالنسبة لنا أهم

من تفكيك سوريا، لأنه يشكل على المدى القصير أخطر تهديد لإسرائيل) .
(المصدر: كيفونيم، فبراير١٩٨٢، الصفحات٤٩-٥٩).
ورد النص الكامل باللغة العبرية وترجمته الفرنسية فى كتاب : فلسطين : أرض الرسالات السماوية ، باريس، ١٩٨٦ ، الصفحات ٣٧٧ وحتى٣٨٧). وعندما تصبح أهداف خطة كيفونيم بعيدة التحقيق، والمجابهة محفوفة بالمخاطر، فإن اللوبى الإسرائيلى كان ينجح دائما في دفع الولايات المتحدة إلى القيام بالعملية. والحرب ضد العراق هى مثل صارخ على ذلك. فقد قامت مجموعتان من مجموعات الضغط إلى دفع الولايات المتحدة إلى شن هذا العدوان:
١ - اللوبى اليهودى، لأن القضاء على صدام حسين سيزيل خطر بلد عربي ...
٢ - لوبى رجال الأعمال، الذى كان يعتقد أن الحرب سوف تنعش الاقتصاد الأمريكى. .
(المصدر:آلانبيرفيت بيرفيت، الفيجارو، ٥نوفبر١٩٩٠.).
وكان الزعماء الصهاينة لا يخفون الدور الذى يلعبه اللوبى ويمتدحونه و يشجعون عليه في جميع أحاديثهم.
ولكن الخلط بين اليهودية كدين محترم كغيره، وبين الصهيونية السياسية التى تفترض الولاء غير المشروط لدولة إسرائيل التى حلت محل (رب إسرائيل) سيؤدى حتما إلى تغذية معاداة السامية ويشجع على الغطرسة الاسرائيلية. (منذ عقود ، يحاول اليهود الأمريكان جاهدين إقناع الرأى العام الامريكى أن دعمهم غير المشروط لإسرائيل لا يطعن أو ينال من ولائهم وإخلاصهم تجاه الولايات المتحدة. ولكنه من الصعب الآن أن نثق في ذلك، فالولاء المزدوج قد اتضح) .
(المصدر : هارتيس ، ١ ديسمبر١٩٨٥).
والأمثلة على أن اللوبى الإسرائيلى قد نجح في فرض موقف مضاد للمصالح الأمريكية ولكنه مفيد لسياسة إسرائيل، لا حصر

لها، وهناك من الأدلة ما يشير إلى الكيفية التى جعلت مطالب الإسرائيليين تتقدم على مصالح الولايات المتحدة وهاك بعض الأمثلة : كان رئيس لجنة الشئون الخارجية في مجلس الشيوخ الأمريكى، السناتور فولبريت، قد قررمثول القادة الصهاينة الرئيسيين أمام لجنة للكشف عن أنشطتهم السرية. وأوجز نتائج تحقيقه في مقابلة أجراها مع تليفزيون C.B.S فى أكتوبر ١٩٧٣ ، قائلا: (إن الإسرائيليين يتحكمون في سياسة الكونجرس ومجلس الشيوخ)، وأضاف: (إن زملاءنا فى مجلس الشيوخ وبنسبة 70 ./. منهم لا يحددون مواقفهم إلا تحت ضغط اللوبى وليس برؤيتهم الخاصة القائمة على مباديء الحرية والقانون). وفى الانتخابات التالية فقد فولبريت مقعده في مجلس الشيوخ. ومنذ ذلك التاريخ، زاد اللوبى من سيطرته على السياسة الأمريكية. وقد وصف بول فندلى اللوبى الصهيونى وقوته وهذا(الفرع الحقيقى للحكومة الإسرائيلية) يتحكم فعلاً في الكونجرس ومجلس الشيوخ ورئاسة الجمهورية ووزارة الخارجية والبنتاجون(وزارة الدفاع) ، وكذلك في وسائل الإعلام، كما أنه يمارس نفوذه على الجامعات كما في الكنائس). وحدث أن ألغى مجلس النواب في ٣ أكتوبر ١٩٨٤، بأغلبية ٩٨% كل تحديد للمبادلات بين إسرائيل والولايات المتحدة رغم التقرير المضاد لوزارة التجارة وجميع النقابات . وفى ٨ يونيه ١٩٦٧ ، قذف الطيران والبحرية الإسرائيليان الباخرة الأمريكية (ليبرتى)، وقتل في هذه العملية ٣٤ بحاراً وجرح ١٧١، واعتذرت الحكومة الإسرائيلية عن هذا الحادث وحفظت القضية. وثبت بعد ذلك أن هذا القذف لم يكن نتيجة خطأولكن كان متعمدا حتى لا تكتشف خطط إسرائيل لغزو الجولان. ويفسر الأميرال توماس مورر سر التغطية على هذه الجريمة قائلا : كان الرئيس جونسون يخشى رد فعل الناخبين اليهود .. .) ويضيف الأميرال : (وكان الشعب الأمريكى سيجن جنونه إذا عرف بما جرى). وفي أعقاب اقتراح السناتور بوب

دول بنقل سفارة الولايات المتحدة إلى القدس، وطلب جامعة الدول العربية عقد اجتماع عاجل لمجلس الأمن، وتصويت ١٤ دولة من ١٥ على قراريطالب رابين بالعدول عن قرار مصادرة الأراضي في القدس الشرقية، استخدمت الولايات المتحدة للمرة الثلاثين حق الفيتو لمساندة إسرائيل. . . وقد أقلق هذا التصرف اللوبى الذي رأى أن في ذلك عزل للولايات المتحدة سيقلل من (مصداقيتها كوسيط وحيد في النزاع العربى-الإسرائيلى وفي قيادة المفاوضات مع الفلسطينيين. (جريدة النيويورك تايمز 15/5/1995) . وفي خلال الاجتماع السنوى للايباك، شدد الرئيس كلينتون، الذي دعى لحضوره على ضخامة المعونة العسكرية التى تقدمها الولايات المتحدة لإسرائيل: (لقد أوفت الولايات المتحدة بوعدها : فالقوة العسكرية لاسرائيل الآن هى الأقوى عنها في أى وقت مضى. . وإن تعاوننا في مجال الاستراتيجية والمخابرات أصبح تعاونا وثيقا تماما. وأجرينا هذا العام مناورات مشتركة على نطاق واسع ونتوخى التوسع في منشآتنا لتخزين المعدات الحربية في إسرائيل. وقد أبرم البنتاجون عقوداً بأكثر من ٣ ملايين من الدولارات لشراء معدات عالية التكنولوجيا من شركات إسرائيلية. .)
(المصدر : ميدل ايست انترناشيونال، ١٩٩٥/٥/٢٦).
وكل الوسائل بالنسبة للوبى الصهيونى ملائمة وجيدة، بدءا من الضغط المالى وحتى الإبتزاز الأخلاقى مرورا بمقاطعة وسائل الاعلام والناشرين، والتهديد بالقتل. وفي ذلك يقول فندلى: (إن أى إنسان ينتقد سياسة إسرائيل، عليه أن يتوقع عمليات انتقام موجعة لا تنتهى ، وحتى فقدان سبل معيشته بواسطة ضغوط اللوبى الإسرائيلى. والرئيس نفسه يخاف منه. والكونجرس يخضع لكل مطالبه. وتحرص أعرق الجامعات على إبعاد كل ما يتعارض معه في برامجها، وتستسلم وسائل الإعلام كما يخضع القادة العسكريون لضغوطه) .

٢ - اللوبى في فرنسا: (يوجد في فرنسا لوبى قوي مناصر لإسرائيل، يمارس نفوذه وتأثيره في الدوائر الإعلامية خاصة. وقد أثارت هذه المقولة الجنرال ديجول في ذلك الوقت وأثارت صخبا شديدا، مع أنها تحمل جزءا كبيرا من الحقيقة (المصدر : فيليب الكسندر، لمباريزيان ليبيريه، 29/2/1988) . ومنذ ذلك الحين ، لم يتخلف أى مرشح لرئاسة الجمهورية الفرنسية، مهما كان انتماؤه الحزبى، من ميشيل روكار إلى جاك شيراك، مروراً بميتران، عن الذهاب إلى إسرائيل ليحصل على المباركة والتغطية الإعلامية. ولقد وصلت القوة الإعلامية للوبى، ومركزه اليوم الرابطة الدولية لمناهضة العنصرية ومعاداة السامية (ليكرا) ، إلى الحد الذى تستطيع به أن تتلاعب بالرأى العام على هواها وحسبما يتراءى لها ؛ ومع أن السكان اليهود في فرنسا لا يشكلون سوى نحو ٢ من الشعب الفرنسى، فإن الصهيونية تهيمن على غالبية متخذى القرار السياسيين في أجهزة الاعلام والتليفزيون والاذاعة، والصحافة المكتوبة، سواء كانت الصحف اليومية أو الأسبوعية، والسينما وخاصة مع غزو هوليوود لها وحتى دور النشر(وذلك عن طريق لجان القراءة حيث يتسنى لهم فرض الفيتو) ، فقد أصبح كل ذلك في أيديهم، وكذلك قطاع الإعلانات، الوصى المالى على وسائط الإعلام. ويمكننى أن أطرح في هذا الصدد شهادتى الخاصة: فحتى ١٩٨٢ ، كانت أبواب دور النشر الكبرى مفتوحة على مصراعيها أمامى، وكذلك التليفزيون والإذاعة والصحافة الكبرى. وعندما وقع الاعتداء على لبنان ومذابحه، استطعت أن أحصل من مدير التحرير السيد جاك فوفيه على موافقته أن أنشر في جريدة لموند الصادرة في ١٧ يونيه ١٩٨٢ ، صفحة كاملة مدفوعة الأجر حيث كشفنا أنا والأب ميشيل لولون، والقس ماتيو ، عن مغزى العدوان الإسرائيلى وأبرزنا المذابح التى وقعت في لبنان، وأوضحنا أن الأمر لا يتعلق بأى خطأ، بل بالمنطق الداخلى للصهيونية السياسية التى تقوم عليها دولة

إسرائيل. وتلقيت سواء بخطابات مغفلة من الإمضاءات أو بالتليفون، تسعة تهديدات بالقتل. ورفعت علينا (ليكرا) قضية بتهمة (العداء للسامية والتحريض على التمييز العنصرى) .
وقام دفاعنا على ما جاء في النص نفسه الذى نشرناه من أن حياتنا مدينة للأنبياء اليهود، ولكن الصهيونية السياسية استبدلت رب إسرائيل بدولة إسرائيل. وأن موقفها وتصرفاتها في لبنان وفلسطين تشين اليهودية في عيون العالم. وأن معركتنا ضد الصهيونية السياسية لا تتفاضل عن معركتنا ضد معاداة السامية .
وقام دفاعى أمام المحكمة على ما جاء في دراستى حول (فلسطين، أرض الرسالات الإلهية) : إن الصهيونية السياسية التى أسسها تيودور هرتزل (والتى أدانها كل حاخامات العالم في ذلك الحين بوصفها نوعا من الخيانة للديانة اليهودية) ، تنبع من القومية الأوروبية والاستعمار في القرن التاسع عشر، ليس من الديانة اليهودية - وعندما سمعت محامى (ليكرا) وهو يحاول أن يرسم ضدى صورة المعادى للسامية، عادت بى الذاكرة إلى القدس وأنا أمام حائط المبكى مصحوبا بالوزير الإسرائيلى برزياى وفي بيت ناحوم جولدمان رئيس المؤتمر اليهودى العالمى في ذلك الوقت. كما عادت بى الذاكرة إلى أيام كنت فى معسكر الاعتقال مع صديقى برنار لاكاش، مؤسس (ليكا) (التى أصبحت (ليكرا)) والذى ساعدنى في إعداد محاضراتى لأصدقائنا حول (أنبياء إسرائيل). لقد فرضت الهيمنة شبه الكاملة على أجهزة الإعلام في أمريكا وفرنسا من ظروف الصهيونية الإسرائيلية ، على العالم أجمع هذا الخلط والقلب للمعانى، فالدفاع عن الوطن أصبح إرهابا، أما إذا غزت إسرائيل لبنان فالعملية تسمى((السلام في الخليل) . وقد سبق للجنرال ديجول في عام ١٩٦٩ أن ندد (بالنفوذ المفرط) للوبى الصهيونى في جميع أجهزة الإعلام : من الصحافة إلى التليفزيون، ومن السينما إلى صناعة النشر. وقد نجح اليوم هذا

النفوذ المفرط في إجراء عكس تام للمعانى، وأطلق عبارة (إرهاب) على المقاومة الشعبية للضعفاء، (والمعركة ضد الإرهاب) بالعنف الأشد قتلا للأقوياء . وقد ارتكبنا ، الأب لولون والقس مايتو وأنا خطأ كبيرا بفضح أكذوبة هذا الخلط للمعانى. ولكن المحكمة برأتنا في ٢٤ مارس ١٩٨٣ ، ورفضت القضية وحكمت على (ليكرا) بالمصاريف، على أساس أن الأمر يتعلق بنقد مشروع لسياسة دولة ما والأيديولوجية التى تستلهمها، ولا يتعلق بالتحريض العنصرى . . ولكن (ليكرا) تمادت في غيها واستأنفت الحكم، ولكن المحكمة العليا في باريس أيدت الحكم السابق وألزمت (ليكرا) بالمصاريف. وهو ما حدث أيضا في محكمة النقض التى رفضت الطعن وحكمت بالمصاريف.
واستمرت عملية الخنق خارج المحاكم. فاللوبى الصهيونى يمتلك الوسائل. وبدأت التحركات لكتم أنفاسى في وسائل الإعلام. فلم تقبل مقالاتى وأغلقت جميع أبواب النشر في وجهى، وحرم علي الظهور في التليفزيون! لقد حكم علي بالإعدام الأدبى! ومما زاد الطين بلة، صدور قانون فابيوس (رقم ٤٣) المسمى (قانون جيسو) على اسم النائب الشيوعى الذى تبنى هذا القانون الخسيس في مايو ١٩٩٠. والذى يجرم أى تشكيك في الجرائم المقترفة ضد الانسانية، بإضافة المادة 24مكرر إلى قانون حرية الصحافة لعام ١٨٨١ ، جاء فيها : يعاقب بإحدى العقوبات المنصوص عليها في الفقرة السادسة من المادة ٢٤ ،كل من ينكر. . وجود أى من الجرائم المرتكبة ضد الإنسانية كما وردت في المادة ٦ من النظام الأساسى للمحكمة العسكرية الدولية الملحق باتفاق لندن الموقع في ٨ أغسطس1945). وبعد مضى عام، اقترح السيد توبون تعديله ولكن دون جدوى محتجا بأن هذا النص يكرس الحقيقة التاريخية بالقانون بدلا من أن يتركها لكى يحكم عليها التاريخ. ومنذ ذلك التاريخ حرم على أى مؤرخ أن يضع استنتاجات محكمة نورمبرج موضع الشبهات أو المراجعة. وبلغت الأمور ذروتها، عندما قال

حاخام فرنسا الأكبر جوزيف سيتروك في القدس أمام رئيس وزراء إسرائيل الأسبق إسحاق شامير (وهو نفسه الذى عرض خدماته على هتلر ، وانتهكت سياسته القانون الدولى وقرارات الأمم المتحدة): إن كل يهودى فرنسى هو ممثل لإسرائيل، وتأكدوا أن كل يهودى في فرنسا يدافع عما تدافعون عنه. . . رغم أن فكرة الولاء المزدوج، لم تدر في خاطرى .. .) (المصدر: لموند ٩ يونيه ١٩٩.) . لقد لوحت الصهيونية دائما بشبح معاداة السامية للإقناع بأنها تهديد مستمر ضد إسرائيل ولضرورة الهرولة لنصرتها ومساعدتها. وثمة سوابق تاريخية ينبغى أن نستقى منها العبر والدروس، فهناك جهود دؤوبة ومنظمة تبذل لتشكيل الرأى العام وصبه في قوالب ، بعد أن يصبح مشبعا (بالمعلومات) التى توحى بنزعة عرقية تغذى معاداة السامية. (في برلين، أصبح المسرح والصحافة. . إلخ شأنا يهوديا : فكبريات الصحف مملوكة لليهود. فإذا ما اتهم الألمان الصحافة بأنها يهودية، فهذا عين الحقيقة) . والمثال الصارخ والأخير على ذلك هو حادث كربنترا الذى وقع في مايو ١٩٩. داخل مقابر اليهود في مدينة كربنترا، حيث نبشت فيها المقابر و انتهكت حرمتها، وأخرجت جثة أحد الموتى ونقلت إلى مقبرة أخرى. ولاتزال الحقيقة حول كربنترا لم تتضح بعد، وفرض الصمت على أكثر الشهود أهمية. وكانت هذه فرصة لشن هجوم آخر على كل من تسول له نفسه التشكيك في العقائد التى تضع إسرائيل فوق كل قانون دولى.

...

أسطورة المعجزة الاسرائيلية

(إن قوة اللكمة اليهودية تأتى من القفاز الفولاذى الأمريكى الذى يلفها، والدولارات التى تبطنها).
(المصدر: يسهايا هوليبوفيتش، اليهودية وإسرائيل،ص-٢٥٣.)
وفيما يتعلق بالمبالغ التى دفعتها ألمانيا لدولة إسرائيل، سأعطى الكلمة لمن كان المفاوض الرئيسى لقيمة التعويضات، السيد ناحوم جولدمان الذى أورد تفاصيل ذلك في (سيرته الذاتية) التى أهدانى نسخة منها في ٢ أبريل ١٩٧١ ، لكى يشكرنى على المهمات التى قمت بها، بناء على طلبه، وقبل ذلك بسنتين، لدى جمال عبدالناصر، بعد حرب الأيام الستة.
(في أوائل عام ١٩٥١، دخلت إسرائيل الحلبة ولأول مرة بتوجيه مذكرتين إلى الحلفاء الأربعة بخصوص المطالبات اليهودية. بالتعويضات من ألمانيا الجديدة والتى بلغت مليار ونصف مليار دولار، نصفها من ألمانيا الغربية والنصف الآخر من ألمانيا الشرقية. وقام هذا المبلغ على الأساس الآتى : (استقبلت إسرائيل خمسمائة ألف يهودى تقريبا، وتكلفت إعادة دمج كل منهم نحو ثلاثة آلاف دولار. ونظرا لأن إسرائيل هى التى أنقذت هؤلاء الضحايا من براثن النازية، وتكبدت شخصيا تكاليف مالية باهظة ، فقد رأت أنها في حل من فرض هذه الطلبات باسم الشعب اليهودى، رغم أن هذا لا يقوم على أى أساس قانونى، وذلك لأن الدولة اليهودية لم يكن لها وجود عند قيام النظام النازى) (ص- ٢٦٢). (وفى ظل هذه الظروف، توجه إلى الوزير الإسرائيلى للخارجية في صيف عام ١٩٥١، بوصفى رئيس الوكالة اليهودية لفلسطين، وطلب منى الدعوة إلى عقد مؤتمر للمنظمات اليهودية الكبرى في الولايات المتحدة وبلدان الكومنولث البريطانى وفرنسا، لدعم المطالبات الإسرائيلية وإيجاد السبل لإقرارها. (ص-٢٦٣). (وبقدر كبير من الشجاعة والمروءة، وافق المستشار الاتحادى كأساس للمناقشة مبلغ

مليار دولار. وبعد مناقشات طويلة، انتهى هذا الجزء من المباحثات بموافقة الوفد الألمانى الذى تعهد بأن يوصى حكومته بالمطالبة الإسرائيلية البالغة ثلاثة مليارات مارك (أى بنسبة تقل 25% عما طلبناه)((ص_٢٧٢). (وعدت مرة ثانية إلى بون في ٣ يوليه وقدمت التنازل التالى : ١. من الخمسمائة ملايين ستخصص للضحايا من غير اليهود وستوزع بمعرفة الحكومة الألمانية نفسها) (ص-٢٨٢). (... وكانت المعاهدات ستوقع فى ١. سبتمبر ١٩٥٢ في لوكسمبرج ، وسيمثل المستشار الألمانى بلاده ، ووزير الخارجية موشى شاريت، إسرائيل، وأنا عن مؤتمر المطالبات) . (... وكانت الدفعات الألمانية عاملا حاسما في الانطلاقة الإقتصادية لإسرائيل خلال تلك الأعوام. وكنت لا أدرى ماذا سيكون مصير إسرائيل في الأوقات الحرجة لاقتصادها، لو أن حكومة ألمانيا لم تحترم تعهداتها. فالسكك الحديدية، والتليفونات ومنشات الموانى، ونظم الرى، وفروع بأكملها من الصناعة وإلزراعة، ما كانت ستصبح على ما هى عليه الآن بدون التعويضات الألمانية.
وأخيرا، تلقى مئات الآلاف من الضحايا اليهود مبالغ محترمة في هذه السنوات الأخيرة بموجب قانون التعويضات. (ص-٢٨٦) - (وفى صبيحة يوم وصولى إلى تل أبيب، قمت بزيارة رئيس الوزراء الإسرائيلى بن جوريون، الذى استقبلنى وقد ارتسمت على وجهه علامات الجدية : (لقد كان لى ولك حظ في أن نحيى معجزتين : إنشاء دولة إسرائيل، والتوقيع على الاتفاق مع ألمانيا. وكنت أنا المسئول عن المعجزة الأولى، وأنت عن المعجزة الثانية).(ص - ٢٨٤).
(المصدر: ناحوم جولدمان، السيرة الذاتية، باريس ، ١٩٦٩).
وفي كتاب آخرمن كتبه، التناقض اليهودى، لايحكى ناحوم جولدمان مفاوضاته مع ألمانيا فحسب، بل والكيفية التى ابتز بها تعويضات من النمسا ومن مستشارها راب . فقد قال للمستشار: يجب أن تدفعوا تعويضات لليهود)) ويرد عليه

المستشار: - ولكننا كنا أنفسنا ضحايا الألمان !) واستطرد جولدمان قائلاً: (في هذه الحالة سأستأجر كبرى دور العرض السينمائى في فينا، وسأعرض فيها كل يوم الفيلم الذى يصور دخول القوات الألمانية وهتلر فيينا في مارس ١٩٣٨). وعندئذ قال راب : (موافق ستأخذون أموالكم !) وكانت هذه الأموال في حدود 30 مليون دولار. وفي وقت لاحق عاد جولدمان وقال : (يجب دفع . ٣ مليون أخرى !) فقال راب : لقد اتفقنا على 30 مليون فقط) . فردعليه جولدمان : الآن يجب أن تقدموا أكثرا) وحصل عليها. ثم عاد مرة ثالثة وحصل على نفس المبلغ. وكان هناك مصدران آخران لتمويل ما يطلق عليه البعض (المعجزة الاسرائيلية) على المستوى الاقتصادى وعلى صعيد التسليح أيضا (بما في ذلك التسلح النووى) ، مما ساعد على استحداث أسطورة داود الصغير الذى نجح في أن يقضى على عدوه العملاق جالوت بنبلة صغيرة وهى كناية عن دولة إسرائيل الصغيرة التى انتصرت على جيرانها العرب مجتمعين. فبالإضافة إلى (التعويضات) ، تتمتع إسرائيل بإمدادات لا حد لها تقريبا من الأسلحة والأموال التى تأتى أساسا من الولايات المتحدة حيث لعب اللوبى دورا فعالا في ذلك، وكذلك المنح والهبات المقدمة من أبناء (الشتات) . وقد كشف بنهاس سابير، وزير المالية في ذلك الوقت، أثناء مؤتمر المليارديرات اليهود (كذا) الذي عقد في القدس عام ١٩٦٧ ، أن دولة إسرائيل قد تلقت في الفترة من ١٩٤٩إلى ١٩٦٦ ،٧ مليارات دولار.
(المصدر : (الايكونوميست الإسرائيلى) ، سبتمر ١٩٦٧ .)
وكانت المنظمات اليهودية الأمريكية ترسل كل سنة وفي المتوسط، مليار دولار إلى إسرائيل. (وكانت هذه المساهمات تعتبر (مساهمات خيرية) وتخصم من ضرائب المانح، أى أنها تقع على عاتق دافعى الضرائب الأمريكيين !) ومع ذلك فمعظم المساهمات كانت تأتى من الدولة الأمريكية مباشرة، والتى ارتفعت معونتها) إلى أكثر من ثلاثة مليارات دولار سنويا) ،

نصفها تقريبا يتحول إلى منح وهبات لا ترد. وتتكون هذه المعونة السنوية من شحنات للأسلحة كانت تمول بطريقة خاصة بموجب قانون مراقبة تصدير الأسلحة لعام ١٩٧٦ ، تفاديا لانتقادات الجمهور. ويكفى أن نذكر هنا أن معونة (مشروع مارشال) المقدمة إلى أوروبا الغربية فى الفترة من ١٩٤٨إلى١٩٥٤،قد وصلت إلى ١٣ مليار دولار، أى أن دولة إسرائيل بأقل من مليونين من السكان قد حصلت على أكثر من نصف ما تلقاه. مائتى مليون أوروبى. والعنصر الآخر للمقارنة هو متوسط المعونة السنوية التى حصلت عليها البلدان النامية أثناء الفترة من ١٩٥١ إلى ١٩٥٩ ، والذى لم يتجاوز ٣,٦٤ مليار دولار، في الوقت الذى حصلت فيه إسرائيل بسكانها البالغ عددهم في ذلك الوقت ٧, ١ نسمة، على ٤.. مليون.
وعلى سبيل المقارنة أيضا ، فإن المليارات السبعة التى حصلت عليها إسرائيل في ثمانية عشر عاما، كمنح ، تمثل ما يزيد على مجموع الدخل القومى السنوى للعمل في كل البلاد العربية المجاورة (مصر وسوريا ولبنان والأردن) ، الذي بلغ في ١٩٦٥، ستة مليارات. وإذا أخذنا في الاعتبار المساهمة الأمريكية وحدها، يلاحظ أن الولايات المتحدة قد منحت من ١٩٤٨ إلى ١٩٦٧، مساعدات بلغت في متوسطها ٤٣٥ دولارا لكل إسرائيلى ،و٣٦ دولارا لكل عربى!.
(المصدر: جورج قرم،ماليةإسرائيل)، ١٩٦٨.)
وهناك مصدر مالى آخر مكون من سندات دولة إسرائيل وهى صكوك بالدولارات وتباع في الخارج، ولكن سداد أصولها وفوائدها يتم بالعملة الإسرائيلية. وهذه السندات التى بيعت منها نسبة 99.8 % في ١٩٥١، داخل أمريكا ثم ٨. % في ١٩٧٨) وضعت تحت تصرف الاقتصاد الإسرائيلى ما يزيد على ٥ مليارات من الدولارات.
(المصدر: (سندات دولة إسرائيل) ، ١٩٧٢ ، ص-٢.٥؛ ١٩٨.، ص-١٥٣).

وبين المنح والسندات تلقت دولة إسرائيل من عام ١٩٤٨ وحتى عام ١٩٨٢ ، أحد عشر مليار ونصف من الدولارات. ومما يدل على تواطؤ الحكم مع عالم المال، حدث في فرنسا وحدها عام ١٩٨٢ ، ما يلى : (تولى جى دى روتشيلد رئاسة الصندوق الاجتماعى اليهودى الموحد؟ وعين دافيددي روشيلد أمينا لصندوقه، والعضوالفرنسى في مجلس إدارة الوكالة اليهودية. وكان آلان دى روتشيلد رئيسا للمجلس التمثيلى للمؤسسات اليهودية في فرنسا والمجمع الإسرائيل المركزى. وعين إيلى دى روشيلد رئيسا للجنة التنفيدية . وكان إدموند دى روتشيلد رئيسا للمنظمة الأوروبية لسندات إسرائيل. وأخيرا كانت أليكس دى روتشيلد رئيسة عالمية ل (عالية الشباب) . ولكن كان الارتهان بالحكومة الأمريكية أكبر بكثير وخاصة منذ السبعينات . فقد كانت معونة الحكومة الأمريكية منذ ١٩٤٨، المقدمة إلى إسرائيل قد بلغت ٨ ١ مليار دولار، ولكن التعجيل بزيادتها قد يصيب المرء بالدوار: وهى بوجه عام أقل من ١. مليون دولار حتى عام ١٩٧٥ ، و٢ مليار حتى عام ١٩٨١ . وفى يناير ١٩٨٥ ،، طالبت دولة إسرائيل مرة أخرى بمبلغ ١٢ مليار دولار لمدة ٨ سنوات. أما بالنسبة للدين الخارجى،فقد قفز من٦ مليارات في ١٩٧٣ إلى ١. مليارات في ١٩٧٦، وإلى ١٧ مليار في أول يناير ١٩٨١ ، أى إلى رقم قياسى قدره ٤٣٥. دولارا لكل نسمة) . وزادت المعونة بفضل العقود من الباطن ، وخاصة في مجال الطيران. كما تتضمن المعونة الاقتصادية لتسهيلات ممنوحة للصادرات الاسرائيلية إلى الولايات المتحدة الأمريكية، التى تتمتع بتعريفات تفضيلية، وبذلك دخلت نسبة٩٦ % من هذه الصادرات (بمبلغ مليار دولار) إلى الولايات المتحدة خالصة من جميع الضرائب. وباختصار، يكفى رقم واحد للدلالة على طابع دولة إسرائيل الصهيونية : فإن مجموع (المعونة) الرسمية الأمريكية التى تتلقاها إسرائيل وحدها ، يعادل ما يزيد على ١... دولار. للفرد، أى كبقشيش يضاف إلى دخله القومى، وهو يزيد

ثلاث مرات على إجمالى الدخل القومى للفرد في مصر، وفي معظم البلدان الأفريقية. وفي هذا الصدد يفصح الأستاذ يشاياهو ليبوفيتش ، عن رأيه في الصهيونية اليهودية قائلا: (إن نظامنا عفن وفاسد من أساسه) وذلك لسببين اثنين هما :

١ -المصيبة كلها نشأت عن أن كل شىء قد ارتكز حول الوطن والدولة. فإذا كان الوطن وإلدولة هما الغاية في حد ذاتها، فاليهودية مرفوضة لأن دولة إسرائيل أهم. (إن القومية هى تدمير لجوهر الإنسان) ودولة إسرائيل ليست بدولة تملك جيشا، ولكنها جيش يملك دولة) .

٢ - ارتهان هذه الدولة بالولايات المتحدة. (والأمريكان لا يهمهم سوى فكرة الاحتفاظ هنا بجيش من المرتزقة الأمريكيين فى زى التساحل (الجيش الإسرائيلى) . وإن قوة اللكمة اليهودية تأتى من القفاز الفولاذى الأمريكى الذى يلفها، والدولارات التى تبطنها).

خاتمة

أ الاستخدام الأمثل للأساطير كخطوة نحو رقى الإنسان

استحدثت جميع الشعوب قبل اكتشاف الكتابة، تقاليد شفهية ارتكزت أحيانا على أحداث حقيقية، ولكنها تقاليد يغلب عليها الطابع الشائع الذى يسعى إلى تبرير-وهو عادة ما كان تبريرا شاعريا-أصولها وتنظيمها الاجتماعى، وممارساتها الثقافية، ومصادر سلطات رؤسائها وتطلعات مجتمعها المحلى. وهذه الأساطير الكبرى قد رسمت خطوط ملحمة الإنسان، وعبرت بفضل سردها لبطولات الآلهة أو الأجداد الأقدمين، عن اللحظات العظيمة فى مسيرة هذا الإنسان ووعيه بقدراته وواجباته ورسالته في التفوق على أوضاعه من خلال صور ملموسة تولدت عن تجربته وعن آماله؛ فهو دائما ما يصبو إلى شأن أسمى لمستقبله يتحقق فيه كل أحلامه في السعادة والخلاص. واكتفاء منا ببعض الأمثلة المأخوذة من مختلف قارات العالم، فإن (رامايانة) الهند هى أروع صورة للرجل والمرأة، شكلتها محن وانتصارات بطلها (راما) وزوجته (سيتا)، وإحساسهما بمشاعر العزة والوفاء بمقتضيات حياة لا تشوبها شائبة، بل واقترب اسم البطل (راما) من اسم الإله (رام). وقوة هذه الأسطورة التى تفوق مجرد السرد، وصلت إلى حد جعلها مصدرا استوحته الشعوب في حياتها لقرون عديدة، وذلك بتعظيمها لصورة الإنسان وآفاق حياته. وقد وضع (فالميكى) بعد ذلك النص الذى يجمع كتابة أجمل التقاليد الشفهية؛ ثم أعاد الشاعر (تولسيداس) في القرن الخامس عشر ، كتابة الرامايانة، وفقا لرؤية صرفية أعمق، وفى قصيدة لم تستكمل عن الارتقاء الإنسانى. وإلى هذا فإن آخر كلمة لفظ بها غاندى عند اغتياله، والتى بارك بها قاتله، هى (رام). ويصدق نفس الشىء على المهابارا هاتا، التى بلغت ذروتها في (بهاجا فادجيتا) ، حيث يطرح الأميرأرجونا، وفي غمرة معركة

كوروكشيترا، السؤال الأخير بشأن معنى الحياة ومعنى صراعاته. وفى حضارة اخرى ، أى من مفهوم آخر لعلاقات الإنسان مع الطبيعة ومع غيره من الناس ومع الرب، فإن الإلياذة، والتى تنسب كل مأثوراتها الشفهية والشعبية إلى المؤلف الذى أعطاها شكلها المكتوب، هوميروس، تعرض أرقى وأعلى صورة يمكن رسمها للرجل من خلال شخصية هكتور مثلا ، وهو يسير إلى الموت المحتوم بخطى ثابتة في سبيل نجاة شعبه وسلامته. وينطبق هذا أيضا على (بروميثيوس) لاشيل، الرمز الأزلى والخالد على عظمة معارك التحرير. وهناك الملاحم الأفريقية الكبرى (كسيدارا) ، وكذلك ملحمة خروج قبائل الأزتيك، أو (جوته) الذى جعل من فوست أسطورة لكل نوايا القرن التاسع عشر الأوروبى وأطماعه، أو وستيوفيسكى الذى كتب في قصته (المغفل) رواية جديدة عن حياة المسيح محطما كل أصنام الحياة الحديثة، وهى شبيهة بتلك الحياة الأخرى للمسيح من خلال مغامرات دون كشوت، الفارس النبى، الذى اصطدم دون أن يضعف بكل المؤسسات التى شاهدت ميلاد سيطرة المال الجديدة.

وتلك بعض الأمثلة على (أسطورة العصور) التى تدعو مرة أخرى مع فيكتور هوجو إلى إيقاظ الإنسان.

وهي في مجموعها تمثل (التاريخ المقدس) الحقيقى للبشرية، أى تاريخ عظمة الإنسان، الذى يحاول تثبيت أقدامه حتى من خلال محاولاته الفاشلة، كيما يتفوق على عاداته وقدراته.

وهذا التاريخ هو التاريخ الذي كتبه المنتصرون وسادة الإمبراطوريات وقادة الجيوش. وهو تاريخ لا يتحرج في أن يستخدم الأساطير لمصلحته عند الاقتضاء ، وربطها بعجلة انتصاراته.

...

ب الأسطورة المتنكرة في ثياب التاريخ واستخدامها السياسى

إن قراءة هذا الكتاب (الأساطير المؤسسة للسياسة الاسرائيلية) ينبغى ألا تثير لبسا أو غموضا،لا من الناحية الدينية ولا من الناحية السياسية. فنقد التفسير الصهيونى للتوراة و (الأسفار التاريخية) (وخاصة سفر يشوع وسفر صموئيل، وسفر الملوك)، لا يمس بأى حال من الأحوال التوراة وما جاء فيها من معتقدات دينية. فتضحية سيدنا إبراهيم هى المثال الخالد على تفوق الإنسان على أخلاقياته العابرة وعلى منطقه الضعيف باسم القيم المطلقة التى تماثلها وتضارعها. كما أن (الخروج) سيظل هو الرمز على التخلص من كل أنواع العبودية، وعلى نداء الرب الذى لا يقاوم نحو الحرية. ولكن ما نرفضه فهو القراءة الصهيونية القبلية والقومية لهذه النصوص، باختزالها الفكرة الهائلة لعهد اله مع الانسان، ومع كل الناس، ووجوده في داخلنا جميعا، لاستنتاج أشر فكرة في تاريخ الإنسانية ألا وهى فكرة (الشعب المختار) الذى اختاره رب متحيز وجزئى (ومن تم صنم) ، وذلك للتبرير المسبق لجميع أنواع السيطرة والاستعمار والمذابح . كما لو كان تاريخ العبرانيين أو التاريخ المقدس هو التاريخ الوحيد في العالم. ولم يدر بخلدنا أبدا وبما عرضناه في هذا الكتاب الذى وثقت كل حلقة من حلقاته بمصادرها، فكرة تدمير دولة إسرائيل، بل أردنا وببساطة أن نبطل عنها صفة القداسة، فهى أو أى أرض أخرى ليست أبدا موعودة بدلا مغتصبة، كأرض فرنسا وألمانيا والولايات المتحدة ، طبقا لعلاقات القوة التاريخية في كل قرن. ولايتعلق الأمربإعادة التاريخ وإلى ما لا نهاية بطلقات المدافع، ولكن المطالبة بتطبيق قانون دولى لا يخلد علاقات الغاب. وفي الحالة الخاصة بالشرق الأوسط، فالمطلوب هو تطبيق قرارات التقسيم التى اتخدتها الأمم المتحدة غداة الحرب الأخيرة والقرار ٢٤٢، وهى القرارات التى تستنكر وتمنع التوغل داخل حدود البلدان المجارة والاستيلاء على مياهها؛ والتى تنص على ضرورة الجلاء عن الأراضى المحتلة ولاشك أن الاستمرارفى

إقامة المستوطنات داخل المناطق المحتلة بطريقة غير شرعية، هو احتلال يجعل من المستحيل إحلال سلام حقيقى وتعايش سلمى ودائم للشعبين المتساويين والمستقلين، وهو السلام الذى يرمز إلى الاحترام المتبادل، دون ادعاء بملكية القدس، أرض اللقاء بين الديانات الثلاث.

وكذلك فإن نقد أسطورة الهولوكوست ليست بالعملية الحسابية الجنائزية لعدد الضحايا، ولكن الاستغلال السياسى من طرف دولة لم يكن لها وجود عندما اقترفت الجرائم، والمبالغة في الأرقام بصورة تعسفية لمحاولة إثبات أن معاناة البعض لا وجه لتشبيهها بمعاناة الآخرين وإضفاء القداسة عليها (وبالعبارة الدينية نفسها الهولوكوست) ، وهى محاولة لصرف النظر عن مذابح أشد قسوة. وكان أكبر المستفيدين من هذا هم الصهاينة، الذين أظهروا أنفسهم بمثابة الضحايا دون سواهم، وأنشأوا على إثر ذلك دولة إسرائيل، ووضعوها فوق كل قانون دولى. ولا يتعلق الأمر كذلك بالتشكيك في النوايا الطيبة لملايين الشرفاء الذين اعتقدوا في هذه الأساطير الكاذبة التى روجت لها كل وسائل الإعلام. ولذا فإن هذا الكتاب يهدف إلى إتاحة العناصر للجميع لكى تتاح لهم فرصة الحكم على شرور الأساطير الصهيونية التى تساندها دون قيد أوشرط، الولايات المتحدة، والتى تولد عنها حتى الآن (خمسة) حروب ، كما أنها تشكل بما تمارسه من تأثير ونفوذ بواسطة اللوبى على إحدى القوى الكبرى وهى أمريكا، ومن ثم على الرأي العام العالمى، تهديدا مستمرا ودائما لوحدة العالم وسلامه .

ج المزيفون والتاريخ الانتقادى

لقد وضعنا نصب أعيننا عندما أعطينا لكل معلومة وردت في هذا الكتاب مصدرها والقرينة الدالة على ما نقوله ، أن نبتعد بشكل جذرى عن كل أنواع التزويرالتى ترمى إلى الحط من قدر أية ديانة أوطائفة، أو إلى الدعوة إلى الحقد عليها أو اضطهادها.

وخير مثال على هذا التريف هو ما جاء في (بروتوكولات حكماء صهيون) وهو العمل الذى نددت به في كتابى : (فلسطين، أرض الرسالات الإلهية) ، واستنكرت فيه الطرق البوليسية التى تمت بها فبركة هذه البروتوكولات ، والتى استخدمت للأسف الشديد على نطاق واسع (ولا سيما في بعض البلدان العربية، وهو ما شجبته في حينه . فهذه الرواية البوليسية الخسيسة قد أعطت الفرصة للصهاينة وللاسرائيليين لكى ينددوا ويشجبوا أى نقد لسياستهم في الشرق الأوسط. ولذلك ورغم الإثقال على القاري الذى يتعجل الوصول إلى الاستنتاجات دون المرور بالأدلة والبراهين مما قد يدعو إلى الضجر والسأم في بعض الأحيان، فإننا لم نقدم أى اطروحة هنا إلا وهى معززة بالمصادر.
والعرض التاريخى الذى قدمناه في هذا الكتاب مازال عرضا مؤقتا. وهو ككل تاريخ انتقادى وككل علم من العلوم، قابل للمراجعة والتنقيح طبقا لاكتشاف عناصر جديدة . فهناك أطنان من المحفوظات الألمانية التى تم الاستيلاءعليها ونقلت إلى الولايات المتحدة، ولم يتم جردها بعد بالكامل. وهناك محفوظات أخرى في روسيا بدأت تفتح أبوابها بعد أن كانت محرمة على الباحثين. ومن ثم فما زال هناك عمل ضخم ينبغى القيام به شريطة عدم الخلط بين الأسطورة والتاريخ، أو الادعاء بالوصول إلى النتائج قبل البحث كما حاول نوع من الإرهاب الفكرى أن يفرضه حتى الآن فقد اتضح أن عملية (إضفاء القداسة) على نصوص نورمبرج، كانت هشة جدا.
والتاريخ مثله في ذلك مثل العلوم، لا يمكن أن ينطلق من بداهات مسبقة لا يجوز المساس بها . فقد أصدرت محكمة نورمبرج أرقاما اتضح أن معظمها أرقام خاطئة، تمت مراجعة معظمها واستبعدتها معظم الدوائر العلمية ، وحتى وإن ظلت موضعا للدعاية الإعلامية حيال الرأى العام والطلبة. وتنقيح هذه الأرقام ومراجعتها ليس القصد منه فحصها حسابيا، ولكن

لإظهار الرغبة المتعمدة في تخليد أكذوبة أفضت بالاكراه إلى تزيف التاريخ بصورة منتظمة وتعسفية. فالأمر لم يقتصر على إغفال موت 17 مليون من المواطنين السوفييت، و٩ ملايين من الألمان، بل تجاوز ذلك إلى حد إضفاء الطابع المقدس على هذه المعاناة الحقيقية (تحت اسم الهولوكوست) ، مع إنكار إضفائه على الآخرين. وقد تطلب الأمر لبلوغ هذا الهدف ، انتهاك كل القواعد الأولية للعدالة وإحقاق الحق، فضلا عن رفض كل مناقشة علمية وعلنية، والاقتصار على الاضطهاد وتكميم الأفواه، وهو ما كان مجلبة للشك والارتياب. ولا شك أنه لا توجد إدانة فعالة ضد النازية أكثر من توضيح الحقيقة التاريخية وإقامة البراهين على صحتها. وهذا هو ما أردنا الاسهام به عند نشرنا لهذا الملف.

تعقيب

جارودى دون كيشوت
نهاية القرن العشرين
بقلم: حمدان جعفر

يذكر المفكرالفرنسى روجيه جارودى (١٩١٣ م) عام ١٩٦٦ فى كتابه (ماركسية القرن العشرين) أن الأساطير نوعان : أساطير مغلقة وأخرى مفتوحة، وهذه الأخيرة وحدها هى الأساطير الحقيقية. . فهل كان جارودى يتنبأ بأنه سوف يأتى يوم يتناول فيه أشد الأساطير انغلاقا وهى المتعلقة بأسطورة الصهيونية وأسطورة إنشاء دولة إسرائيل وأسطورة تعرض اليهود للاضطهاد من قبل ألمانيا النازية؟ وهل كان يتنبأ أن تجنى عليه الأسطورة الإسرائيلية المغلقة وهو يتناول هذا الموضوع الشائك فى كتابه الحالي (الأساطير المؤسسة للسياسة الإسرائيلية)؟. يعرف جارودى الأسطورة بمعناها الحقيقى بأنها دعوة لكى نتجاوز حدودنا. ويبدو أنه عندما تناول أشد الأساطير انغلاقا بالنسبة للزعم القائل إن ألمانيا فى عهد هتلر قد أبادت وأحرقت ستة ملايين يهودى قد فتح عليه نار الجحيم. ففى فرنسا وعاصمتها باريس مدينة النور يوجد قانون يعرف باسم قانون (جيسو) صادر عام ١٩٩. وهو يقضى بالسجن على كل من يتشكك فى رقم الستة ملايين يهودى الذين يقال إن هتلر وأعوانه قد أبادهم. لقد اتهمه اللوبى اليهودى فى فرنسا بأنه معاد للسامية وتطرفوا فى هذا الصدد حتى أنه لم يتمكن من طبع كتابه إلا على نفقته الخاصة وهو الذى كانت كبريات دور النشر الفرنسية تتسابق على شر مؤلفاته . وجارودى فى كتابه الحالى يعد التطرف المرض الفتاك للإنسانية فى نهاية القرن العشرين. والنقطة الشائكة فى كتابه هى تشكيكه فى أن هتلر

أباد بالفعل ستة ملايين يهودى واللوبى الصهيونى يرفض التشكيك فى هذا حتى يضمن للصهيونية أن تدعو لإنشاء دولة إسرائيل وتحل الأسطورة السياسية العرقية محل الأسطورة الدينية. وهويرسم مقارنة بين تضخيم اليهود لرقم إبادتهم فى الحرب العالمية الثانية وبين الإبادات الفعلية لغيرهم من الأجناس ويقول إذا كان الصهاينة بتضخيم الرقم يصفون هذه الإبادة بأنها أكبر عملية إبادة جماعية فقد نسى هؤلاء أن هناك ستين مليون هندى أمريكى تعرضوا للإبادة وأكثر من مائة مليون من السود الأفارقة تعرضوا للقتل من جراء تجارة الرق، كما أن هناك ١٧ مليون من السلاف قتلوا فى الحرب العالمية الثانية.
وأوضح جارودى هدفه من كتابه بأنه يريد فضح هذه الخدعة الأيديولوجية التى تم تخليقها للتمويه وأن اللوبى الصهيونى هو الذى صنع هذه الأسطورة المزيفة خاصة أن معسكرات الاعتقال النازية كانت تضم بجانب اليهود البولنديين والسوفييت وأن الوفيات التى حدثت فمن جراء سوء التغذية . ويقول جارودى : إنه لا توجد وثائق يقينية بأنه تمت إبادة ستة ملايين يهودى فى معسكرات الإبادة والاعتقال أيام حكم النازيين فى ألمانيا.
والمؤلف يسأل الصهاينة فى كتابه هل تعلمت إسرائيل من المحارق النازية ما كان يجب أن تتعلمه؟ ويرد جارودى بقوله : (إن إسرائيل لم تتعلم إلا شهوة الانتقام وإعادة إنتاج الآلام وحرق بيوت الأطفال والشيوخ فى البلاد العربية). ويتساءل المؤلف: من أين جاء رقم الستة ملايين يهودى الذين يقال إنه قد تم حرقهم؟ ويجيب بتساؤل آخر: كيف يمكن أن نؤكد أن الذين رمى بهم هتلر فى الأفران هم يهود فقط؟ أوهم من جميع الشعوب ؟ بل هل يوجد أحد يستطيع أن يؤكد أن الذين ألقى بهم هتلر فى المحرقة كانوا أحياء أو موتى ؟ ويفضح جارودى هذه الأسطورة العنصرية التى يروج لها الصهاينة لتبرير إقامة وطن لليهود فى فلسطين على حساب ألوف. وهو يستند إلى شهادات أشخاص لا يمكن الشك فيهم. فالمخرج سبيلبرج

الذى أنتج فيلم (قائمة شيندلر) عن المحارق ضد اليهود أعلنت زوجته إميلى أن زوجها لم يكن بطلا قد ساعد عددا من اليهود للفرار من معسكرات الإبادة وقالت إن زوجها كان يتاجر باليهود مقابل وعدهم بالتهريب من ألمانيا وكان يتركهم جوعى يعانون من البرد فى المرافيئ. وبهذا كان زوجها تاجر شنطة يستفيد من هذه التجارة الآدمية . بل لقد أبرز جارودى التواطؤ بين اليهود والنازية. ويستند جارودى إلى ماكتبه توم سيجيف فى كتابه (المليون السابع) عندما قال : (لم يكن إنقاذ حياة يهود أوروبا على رأس أولويات طبقة زعماء الحركة الصهيونية فالأهمية الكبرى كانت العمل على تأسيس دولة) ويوضح جارودى كيف التقى هذا الهدف العنصرى مع الفكر العنصرى النازى الذى يقوم على أساس نقاء الدم. وكان الهدف هو النقل الجماعى لليهود إلى فلسطين لإنشاء دولة إسرائيل . ويوضح جارودى كيف تتم عملية التزييف للوثائق فقد استندت محكمة نورمبرج التى أنشئت لمحاكمة مجرمى الحرب من النازيين على شهادة على شكل تقرير كتبته فتاة يهودية كانت من ضمن المعتقلات فى المعسكرات الألمانية وأصدرت كتابا بعنوان (يوميات آن فرانك) وتحدثت فيه عن غرف الغاز لحرق اليهود. ويقول جارودى: إن مخطوطة الكتاب قد كتبت بقلم جاف وهو قلم لم يكن معروفا قبل عام ١٩٥١ فى حين أن هذه الفتاة آن فرانك قد ماتت عام ١٩٤٥ . ويشكك جارودى فى معنى تعبير (الحل النهائى) لليهود فى ألمانيا فالمؤرخون المغرضون فسروا التعبير على أن المقصود به إبادة اليهود وحرقهم فالحل النهائى قد يعنى ترحيل اليهود لا حرق اليهود. ويؤكد جارودى أنه لم يجد أبدا تعبير الحل النهائى للمسألة اليهودية فى أى مستند رسمى وقعه هتلر. وأضاف موضحا أن هذا التعبير هو اختراع جديد أضيف وألصق بالنازية لتبرير النزعة الصهيوينة الداعية لإنشاء وطن قومى لليهود فى فلسطين . هذا هو جارودى : إنه دون كيشوت جديد فى القرن العشرين

يحارب طواحين الهواء والأشباح والخرافات والأساطير لعنصرية لضيقة الأفق لكى تتأسس دولة إسرائيل على حساب الحق العربى فهذه الأسطورة تستند إلى قول قديم : إن الله قد وعد اليهود بالأرض الموعودة ويسخر جارودى من هذه الدعوة التى تصور الله وكأنه قد منحهم عقدا موقعا بالملكية. ومن هنا جاءت الحملة من اللوبى الصهيونى ضد جارودى لأنه تجرأ أو مد يده فى عش الزنابير. وقد تعرض للهجوم مع جارودى الأب بيار وهو من كبار رجالات الدين المسيحى الذى كل جريمته أنه طالب بمناقشة المؤرخين . فماذا يفعل جارودى إزاء هذه الحملة الشعواء ضده حتى فى مدينة النور باريس؟ إنه لم يملك إلا الصمت فهو يدرك أن الصهيونية تستريح للأكذوبة التى روجتها عن المحارق النازية حتى تروج لبضاعتها بإنشاء دولة إسرائيل وهى دولة يقول عنها جارودى إنها بعد أكثر من مرور خمسة وأربعين عاما لاتزال دولة بلا دستور بلا حدود ثابتة وبلا تسمية محددة وهى تتأرجح فى تسمية نفسها ما بين دولة إسرائيل وكيان إسرائيل ودولة المعاد . فهل الحملة على جارودى بهذه الضراوة لأنه فضح الأساطير العنصرية الإسرائيلية فقط ؟ أم ينضاف إلى هذا أنه مفكر أشهر إسلامه وجاء فضحه للوبى العنصرى دعامة للعرب؟ لقد جمع جارودى بين منظورين : المنظور الإسلامى الذى ينادى بالحق وبالحقيقة والمنظور العلمى الذى ينادى بصدق ويقينية الوثائق التاريخية حتى لا نحيا وسط أساطير هى من عمل صناع الأساطير السياسية بهدف عنصرى . وجارودى الذى بدأ رحلته الفكرية فى صفوف الماركسيين فى سنوات ١٩٥٠ و ١٩٦٠ وكان منظرا كبيرا للفكر الماركسى الفرنسى قد اهتدى إلى الإسلام وتسمى باسم رجاء جارودى ومن أشهر مؤلفاته: (النظرية المادية للمعرفة) ؛ (فكر هيجل) ؛ (أزمة فى الشيوعية : تقطة تحول الاشتراكية)؛ (منظورات الإنسان)؛ (ماركسية القرن العشرين)؛ (حوار

الحضارات)؛ (واقعية بلاضفاف)؛ (حفارو القبور)؛ (الأصوليات)؛ (مشروع الأمل)؛ (أسئلة موجهة إلىسارتر) .

--- تنبيه

تحاشيا للإثقال على القاري العربى الكريم، فقد توخينا عند الترجمة إيجاز بعض التفاصيل التى اقتطفها المؤلف من الصحف الأجنبية، وهى تفاصيل تهم القاري الغربي في المقام الأول، ولاتخل بسياق الكلام. قسم الترجمة دارالغدالعربى